الإعجاز البياني في القرآن الكريم

إعداد

د/ عائشة بنت محمد بن مستور الشمراني

استاذ مساعد قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية والآداب

بجامعة تبوك- المملكة العربية السعودية.

من 13 إلى 80
The Miracle Statement In The Holy Quran

Preparation
Aisha bint Muhammad bin Mastour Al-Shamrani
Assistant Professor, Department of Islamic Studies,
College of Education and Arts-Tabuk University -
Kingdom of Saudi Arabia.
الإعجاز البياني في القرآن الكريم

عائشة بنت محمد بن مستور الشمراني
قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية والآداب، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: ai.alshamrani@ut.edu.sa

ملخص البحث:
تناولت الدراسة الحديث عن الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وبينت أن القرآن الكريم كالبحر كم غار الإنسان في أعمامه أدرك من دربه وجوهره ما هو أعظم. وبينت الدراسة أن الإعجاز البياني من أهم أنواع الإعجاز القرآني، بل إنه يمثل رأس الهرم بين أنواع الإعجاز الأخرى. واشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث على النحو الآتي، أما المقدمة: فتشمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة وأهداف البحث فيه، ومنهج البحث، ثم هيكل البحث، ثم التمهيد، ويشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث، المبحث الأول: نشأة الإعجاز البياني، وأهمية دراسته، المبحث الثاني: أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، المبحث الثالث: دراسة تطبيقية لأوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم ويندرج تحت بعض هذه المباحث مطالب ثم ذكرت الدراسة جملة من النتائج من أهمها: ارتباط هذا النوع من الإعجاز بالقرآن الكريم كاملاً، إذ لا ينفك عن كلمة أو حرف منه. بل هو أمر ملاحظ فيه من أوله إلى آخر.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز؛ البياني؛ القرآن الكريم؛ رأس الهرم؛ نشأة؛ أوجه؛ دراسة تطبيقية.
The Miracle Statement In The Holy Quran
Aisha Bint Muhammad Bin Mastour Al-Shamrani
Department Of Islamic Studies, College Of Education And Arts-Tabuk University - Saudi Arabia.
Email: ai.alshamrani@ut.edu.sa
Abstract:
The study dealt with talking about the graphic miracle in the Holy Qur’an, and showed that the Holy Qur’an is like the sea, whenever a person dives into its depths, he realizes from its pearls and jewels what is greater. A preface and three topics are as follows. As for the introduction: it includes the importance of the topic and the reasons for its selection, previous studies and research objectives in it, the research methodology, then the research structure, then the preface: it includes the definition of the vocabulary of the research title, the first topic: the emergence of the graphic miracle, and the importance of studying it, the topic The second: aspects of the graphic miracle in the Holy Qur’an, the third topic: an applied study of the aspects of the graphic miraculous in the Holy Qur’an, and some of these topics fall under demands. A letter from it, but it is observed in it from the beginning to the end.
Keywords: Inimitability ; Alibi ; The Holy Quran ; Top Of The Pyramid ; Genesis ; Facets ; An Applied Study.
المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فإن أعظم ما تنافس فيه المنافسو، وسعى لنيل شرفه الساعون، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم حميد. وعلل من أعظم نعم الله تعالى على عبده أن يوفقه لبداومة النظر وإمعان الفكر في كتابه الكريم وقد حث على ذلك في كتابه فقال: فَلَسَّنَّ الْمَتَّهِجِ (١).

وكلما أمعن الإنسان فكره في آيات الكتاب الكريم كلما تكشفت له معان وأمور، وذلك أن القرآن كالبحر كلما غاص الإنسان في أعماقه أدرك معدود وواحده ما هو أعظم.

وقد هيا لنا المولى أن تكون ممن لهم شرف السير في طريق التدبر لآيات الله من خلال هذا البحث المتواضع والذي سأتناول فيه نوع من أنواع الإعجاز في القرآن الكريم غير مبالغة إن قلت أنه يمثل رأس الهرم من بين هذه الأنواع وأهمها.

أولاً: أهمية الموضوع:

١- ترجع أهمية هذا البحث إلى أهمية موضوعه الذي يتناول علمًا متعلقًا بكتاب الله ﷺ الذي هو خير كتاب أنزل على خير أمة.

١٩

(١) سورة ص آية ٢٩.
2- تعتبر دراسة الإعجاز البياني للقرآن الكريم من الأهمية بمكان، إذ إن

هذا النوع من الإعجاز يمثل رأس الهرم بين أنواع الإعجاز الأخرى.
3- دراسة هذا النوع من الإعجاز تزود القارئ لكتاب الله تعالى بملكة علمية، وثروة لغوية، تمكنه من استنباط الصور والمفاهيم وأوجه البلاغة -التي قد تخفي على غيره- سواء في الآية أو الكلمة وحتى الحرف من كتاب الله ﷺ، وهو كذلك مدعاه للتأمل عند قراءة كلام السليم أو سماعه.

4- يعد إبراز هذا النوع من الإعجاز في القرآن دليلًا فاعلاً، وبرهانًا كافياً، لا يترك في القلب مجالاً للشك في صدق نزوله من عند الله ﷺ، تباع إليه، خصوصاً مع اقتران ذلك بعجز المتحدين بـ عين معارضته، أو الإتيان بمثله مع توفر الدواعي فيها.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:
1- رغبتي في أن أنتال شرف خدمة كتاب الله ﷺ، وأحظى ببركة صحبته ونفع بحلاوة معايشته، فإن أجر ما يشغله به البحث نفسه، ينفع فيه عمره وجهده ويكذب فيه خاطره، هو كتاب الله ﷺ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فهو أصدق الحديث، وأولاه بالتدبر، وأيضاً التحاسا للفضل والخيرية الباردة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (1).
2- إقامة الحجة على أهل الباطل، ورد الشبه التي قد تثار من كل حاقد على هذا الدين فيما يتعلق بأن القرآن كلام الله ﷺ.

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه -كتاب فضائل القرآن-باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (1926/1) - حديث رقم: (2070).
۴- التدبر الأمثل للقرآن الكريم بمدارسة أحد موضوعاته التي وردت فيه.
۵- الوقف على ما كتبه العلماء وجمعه وتقديمه للناس بطريقة علمية سهلة.

ثالثا: الدراسات السابقة:

ما هو معلوم أن موضوع إعجاز القرآن الكريم البياني موضوع ليس بالجدد، وقد تتنوع المؤلفات فيه وكثرت باعتباره رأس الهرم بين أنواع الإعجاز الأخرى. كما تتنوع التأليف في هذا الموضوع بين من يتناول موضوع الإعجاز البياني بوجه عام وبين من يتناول وحدها واحداً، وقد وقفت أثناء بحثي هذا على بعض من المؤلفات في هذا الجانب مابين كتب مطبوعة وأبحاث منشورة ورسائل علمية، وسأكتفي هنا بالإشارة إلى ما توصلت إليه من رسائل علمية خاصة بهذا الموضوع والتي تمكتت بجهدي القاصر من الوقف عليها ومنها:

۱- الإعجاز البياني في ظل النصوص القرآنية، وهي رسالة دكتوراه، للباحث محبوب الله سيف الرحمان، من الجامعة القومية إسلام أباد عام ۱۴۱۲ هـ. وقد حاولت التوصل للرسالة للإطلاع على محتواها فلم أتمكن من ذلك.

۲- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، بين الجرمني والزمخشي في كتابهما، وهي عبارة عن رسالة ماجستير، من جامعة اليرموك في الأردن عام ۱۴۰۷ هـ، للباحثة صباح يوسف النجار، وفيها عقدت البحاثة مقارنة بين الكتابين في العديد من الجوانب أهمها جانب النظم والوقف على آرائهما في الإعجاز اللغوي.
والفرق بين هذه الدراسات وبين دراستي: أن هذه الدراسات تعطي فئات
في جوانب محددة، وأما دراستي فهي تتحدث عن الإعجاز البياني في
القرآن.

رابعاً: أهداف البحث في الموضوع:
1- الوقوف على معنى الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومنزلته بالنسبة
لأنواع الإعجاز الأخرى.
2- التأكيد على حقيقة إعجاز القرآن الكريم للعرب وإبطال كل ما عدا ذلك من
آفاق.
3- الوقوف على مظاهر وأوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم التي تكم
عنها العلماء.4- استنباط الأمثلة والشواهد على هذا النوع من الإعجاز في
القرآن.

خامساً: منهج البحث:
أسير بعون الله ﷺ وتوقيقه في هذه الدراسة معتمداً على المناهج العلمية
التي تخدم البحث في كافة جوانبه، وهي: المنهج الاستباقي (1)، حيث أقوم
بقراءة النصوص الخاصة بموضوع الدراسة وفهمها، وبيان الأثر المستنبط
منها، ثم المنهج الاستقرائي التحليلي (2)، وقد استخدمته في تحليل النصوص

(1) هو: الطرقية التي يقوم فيها الباحث بناءً على تحليل فجدي عقلاني ونفسي عند دراسة
النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة. المرشد في كتابة
الأبحاث- حلمي محمد فؤد وعبد الرحمن صالح عبد الله (صر-٤١).
(2) يقوم هذا المنهج على تحليل ظاهرة من الظواهر للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة،
والعوامل التي تحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها - أجديب البحث في العلوم
الشرعية- د. فريد الأنصاري (صر-٤١) بتصريف بسير، والاستقراء في اللغة تغني من
قرأ الأمر أي تتبعه، ونظر في حاله، أو من قراء الشيء: بمعنى جمعته ووضمت بعضه
الخاصة بموضوع الدراسة وكذلك بعض المناهج العلمية الأخرى التي يقتضيها البحث.

وأما منهجي في البحث فهو كالآتي:

أ - قمت بإذن الله ببعض الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآيات كما قمت بتبخّرج الأحاديث والآثار، فما كان في الصحيحين فذلك دليل كاف على صحته، وما لم يكن فيها قمت بتبخريجه مع ذكر الحكم عليه، مستعينا بكلام الأئمة المحققين في ذلك.

ب - قمت بإذن الله بالرجوع إلى المصادر الأصلية في التفسير وعلم القرآن لجمع مادة البحث وتوثيقه، من أجل تأصيل هذا الموضوع المهم والرجوع به إلى مصادره الأصلية.

ج - التزمت الأمانة العلمية حيث نسبت كل قول إلى قائله، ومصدره، وأذكّر في الاهتمام اسم الكاتب، ومؤلفه، والترجم، ومحقق وإن وجد، ورقم الجزء ثم رقم الصفحة، ثم دار النشر ورقم الطبعة، وتاريخها إن وجد ذلك وعدم وجودها أذكر كلمة "بدون". وإن كان النقل فيه تصرف أشير إلى ذلك، وإن كان هناك اختصارا قلت باختصار وهذا.

د - استوفيت توثيق المرجع في فهرس المصادر والمراجع في نهاية البحث، وعند ذكره في نهائية البحث اكتفي بذكر: اسم الكاتب، ومؤلفه، ورقم الصفحة والجزء.

ه - ذيلت بحثي بالخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها ثم فهرس المصادر والمراجع.

إلى بعض، والمراد به هنا: تتبع الموضوع واستقراره في مفهومه وجمع المعلومات المتعلقة به - لسان العرب - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفي: 517هـ) - (1251هـ).
سادساً: هيكل البحث:
قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس على النحو التالي:
المقدمة: وضمنها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة وأهداف البحث فيه، ومنهج البحث، ثم هيكل البحث.
التمهيد: ويشتمل على التعرف بمفردات عنوان البحث.
المبحث الأول: نشأة الإعجاز البينائي، وأهمية دراسته، وفيه مطلوبين:
المطلب الأول: نشأة الإعجاز البينائي
المطلب الثاني: أهمية دراسته.
المبحث الثاني: أوجه الإعجاز البينائي في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: دراسة تطبيقية لأوجه الإعجاز البينائي في القرآن الكريم، وفيه أربعة مطالب:
mطلب الأول: إعجاز القرآن في أسلوبه.
mطلب الثاني: إعجاز القرآن في ألفاظه (حروفه و كلماته).
mطلب الثالث: إعجاز القرآن في تناسبه وتناسق نظمه.
mطلب الرابع: إعجاز القرآن في جمله ومعانيها.
ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج ثم الفهارس.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
التمهيد: ويشتمل على التعريف بمفردات عنوان البحث.

حول مفهوم الإعجاز البياني

أنزل المولى جل في عelah القرآن الكريم ليكون كتاب هديا للبشرية إلى الصرائط المستقيمة، وضمن لمن آمن به واتبع أوامره السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة، فقال عز من قائل: فإنما يأتيكم مُعَجَّبَةٌ مُتَّفَقَةٌ مُعَجَّبَةٌ، مُعَجَّبَةٌ لا يضُر في الدنيا ولا يشقي بالعذاب في الآخرة.

وقدر إقبال العبد على القرآن يكون إقبال الله تعالى عليه، ويقدر إعراض عنه يقع في الضلالة والشقاء وسوء المعيشة وضنكها، مصدقاً لقول الحق: ومن أعد الله من يږي إله ميَّزَةُ صادق وこともあります يور أليين مأمون.

ولعل من أبرز توع الله تعالى على عبده أن يبهاء لأن يسير في طريق التدبر والتأمل لكتابه العظيم، وما فيه من أوجه إعجاز مختلفة سواء أكان هذا الإعجاز بياتيا أو تشريعي أو تأثيريا أو علميا، فكل ذلك مما يقوى الإيمان في القلوب ويرسخ معانيه في النفوس، وبالتالي يهدي إلى العمل به وتطبيق ما جاء به.

مفهوم الإعجاز البياني: هذا المصطلح (الإعجاز البياني) مأخوذ من جزأين مركبين، وللوصول إلى تعريف هذا المصطلح فلا بد من تعريف كل جزء ثم تعريف المصطلح المركب منهما.

تعريف الإعجاز لغة واصطلاحا:

- الإعجاز لغة: قال ابن فارس: "العين، والجم، الزاي، أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف والآخر على مؤخر الشيء"، وهو نظف مشتق من سورة طه، آية 132.

- الإعجاز البياني: سورة طه، آية 124.
العجز، يقال "عجزي فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والعجز نفيت الحزم، وعجز عجزا فهو عاجز ضعيف"(1)، والعجز "أصله التأخر عن الشيء، وصار في العرف اسمًا للفضول عن فعل الشيء وهو ضد القدرة"(2)، أي بمعنى الضعف.

وعلى هذا المعنى قوله تعالى: "نُؤْتِيَ أُمَّةً مِّنْ آخِرِيِّيْنَ"(3) بمعنى: أضعفت والإعجاز مصدر من الفعل "عجز" يقال: أعجز إجازا ويراد به "الفوت والسبق"، يقول: أعجزني فلان أي فاتني"(4)، ومنه قوله تعالى: "إِنَّ مَنْ عَمِّرَ مَعَنَّى، وَمَا أَنْشَأَ مَشْهُورَةً"(5) .

وعلى هذا فالمعنى اللغوي للإعجاز في اللغة يدور حول معاني:

الأول: الضعف وعدم القدرة: عجز الرجل يعجز عجزا فهو عاجز أي ضعيف.

الثاني: الفوت والسبق: أعجز الرجل يعجز إجازا أي فاز وسبق.

فقد قلنا: عجز العرب عن القرآن، أي ضعفوا ولم تكن لهـم القدرة الكافية لمواجهته والإتيان بملته.

واعد قلنا: أعجز القرآن العرب، أي فاتهم وسيقهم بفصاحته وبلاغته.

---

(1) معجم مقاليس اللغة، ابن فارس، ج 4 ص 232.
(2) المعين، الفراهيدي، ج 11 ص 215.
(3) تاج العرب، محمد بن أحمد الزبيدي، ج 15 ص 200.
(4) سورة المائدة، آية 31.
(5) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، ج 1 ص 219.
(6) سورة الأنعام، آية 134.
والبيان لغة واصطلاحاً:

الفقرة: 1.

وهو، رؤى القدرة على الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير.

تعريف البيان لغة واصطلاحاً:

البيان لغة: من بان الشيء وأبان وتبين وبين وابن بين، والبيان من الرجال الفصيح، وقال بعضهم: رجل بين وجهير إذا كان بين المنطق. وجهير المنطق، والبيان هو الفصلحة يقال: كلام بين أي فصيح. وعلى هذا المعنى ورد قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن من البيان

(1) الأنعام، آية 134، يونس، آية 33، هود، 32، العنكبوت، 27، الشعرى 31.
(2) سورة المائدة، 31.
(3) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الراقي، ج 1، ص 98.
(4) بصائر ذوي التمييز في طائف الكتب العزيز، ج 1، ص 165.
(5) الفهدي، ج 2، ص 281.
(6) تهذيب اللغة للأزهرى ج 2، ص 352.
البيان انصطلاحاً: الفصاحية أو ملكة أو أصول يعرف بها إراد المعنى الواحد في صور مختلفة.

تعريف الإعجاز البياني كمصطلح مركب: إختلف العلماء في المراد بإعجاز القرآن الكريم البياني إلى أكثر من قول فالإمام الباقلاني يرى أن إعجازه يرجع إلى "لفظ حامل ومعنى قائم به ورباط لهما ناظم". بينما ذهب الجرجاني إلى أن إعجازه في نظمه البديع، ومنهم من رأى إعجازه البياني هو بلاغته التي أبهرت العرب في حينها وقال بهذا القول الخطابي و

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب النكاح - باب الخطبة - (7 / 19) - حديث: (5146).
(2) الصاحب، إسماعيل بن حماد الجوهري، ج 5 ص 2083.
(3) سورة آل عمران، آية 138.
(4) سورة إبراهيم، الآية 4.
(5) الكلمات، الكفوي، ج 1 ص 230.
(6) الكلمات، الكفوي، ج 1 ص 230.
(7) الاعجاز القرآن، الباقلاني، ج 1 ص 15.
(8) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ج 1 ص 39.
الباقعي(١)، ومنهم من ذهب إلى أنه معجز بكل ما سبق بدون تقييم لوجهه على الآخر وإليه ذهب ابن نمية و الزركشي(٢).

ومن هنا أقول: إنه من خلال الوقوف على意义 الإعجاز والبيان كما سبق وعرفتهما، يمكن التوصل إلى المراد بالإعجاز البياني في القرآن الكريم والجمع بين ما سبق من آراء العلماء في ذلك، إذ لا تنافى بينها فتأقول وباالله التوفيق:

الإعجاز البياني هو: بيان القرآن الكريم عن المعاني التي يريدها بأبلغ الألفاظ في نظم فريد وغير مسبوق يعجز الخلق عن الإIan بمعنى أو بجزء منه، وقيل في تعريف الإعجاز البياني على وجه الخصوص بأنه: "آرائه" في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح، لا الإخبار عن المفتيات، ولا عدم التنافض والاختلاف، ولا الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن المعارضة (٣)، كما يمكن القول بأن الإعجاز البياني يقصد به: نوال قدرة العرب وضعفهم عن الإIan بمثل القرآن الكريم أو أقل سورة منه مع تحقق شروط الإعجاز وانتفاء موائع المعارة. وهو النوع الذي وقع به التحدي للعرب، وإذا ما أطلق لفظ إعجاز القرآن ( فغالبا ما ينصرف إلى هذا المعنى وهو الإعجاز البياني الذي وقع به التحدي في زمن النبوة.

بناء على ما سبق يمكننا القول بأن الإعجاز البياني للقرآن الكريم يتمثل في أمرين رئيسيين هما:أ- الفصحية: ويقصد بها"البيان"(٤)، واللفظ الفصيح

(١) نظام الدرر للباقعي، ج ١ ص ١٦.
(٢) الزركشي، ج ٢ ص ٢١٠، الجواب الصحيح، ابن تيمية، ج ٥ ص ٤٣٩.
(٣) الكلمات، الكوفي، ج ١ ص ١٤٩.
(٤) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيد، ج ٣ ص ١٦٤.
هو ما يدرك حسن باحترام"، وعلى هذا فصاحة القرآن: هي بيان من حيث إيضاح المعاني بأسلوب واضح سهل تعقيد فيه يدرك جماله من سماعه لأول مرة.

ب- البلاغة: ويقصد بها: "حسن الكلام مع فصاحة وأدائه لغاية المعنى المراد"، AOL مادة الكلمة في اللغة تدور حول وصول شيء إلى غايتها ونهايتها. وبلاغة الكلام في الاصطلاح هي مطابقة الكلام لمقتضى حلال من يخاطب به مع فصاحة مفرداته وجمله"، وعلى هذا فبلاغة القرآن: هي وصوله الغاية في الفصاحة، وإيضاح المعنى إلى المخاطب بطرق أبلغ مما عداها من الطرق، مع مراعاة مقتضى الحال.

(1) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج 1، ص 234.
(2) البلاغة العربية، الدمشقي، ج 1، ص 128.
(3) المصدر نفسه، ج 1، ص 128.
المبحث الأول: نشأة الإعجاز البياني، وأهمية دراسته، وفيه مطلبين:

المطلب الأول: نشأة الإعجاز البياني

لأن أجاب الحقائق إن قلت إن الإعجاز البياني في القرآن الكريم رافض القرآن الكريم منذ البدايات الأولى لنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن كلمة الإعجاز بمعناها البلاغي معروفة في عصر النبوة، ولكن المعنى اللغوي الذي يدل على عدم تمكن أحد من البلاغة أن يأتي بمثال ما جاء به القرآن كان مؤكدا وملموساً(1) والمتأمل في حال العرب عند سماعهم القرآن لأول مرة سيدرك هذا المعنى تماما، إذ أنه نزل أولا على قوم كانوا أربابا للفصاحة والبلاغة وأسيادا لها، وثانيا نزل به رسول أمي لم يكن يعرف القراءة والكتابة لتبطل حجتهم بتأليفه له، ومع ذلك عجزوا عن مجارته ومضاهاته.

وقد كانت روعة القرآن الكريم وسحر بيئة مستحيلة على القلوب والأفكار، وكان يحس المؤمنون به بشوق بالغ وهم يعتمدون آيات الذاكر الحكيم، وكان الكافرون المعادون يحسون في قراءة أنفسهم أن هذا الكلام ليس من كلام البشر، وكانوا يحسون بillance عباراته وطلابه أسلوبه، والمعاني الثرة المغفقة في موضوعاته.(2)

وليس أصدق على ذلك من شهادات المشركين أنفسهم عند سماعهم القرآن لأول مرة، فهذا الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن لأول مرة لم يتحمل نفسه من روعة ما سمع فقالها كلمة حق رغم كفره – إلى قيام الساعة والله ما فيكم رجل أعلم بالشام مني، ولا برجزه ولا بقصيدته مني.

(1) الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من العلماء المتخصصين، ج 1 ص 161.
(2) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ج 1 ص 45.
ولا بأذن الله، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، و والله إن لقوله
الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن له مثمر أعلاه مغدق أسفله و إن له
ليعلو وما يمكن فإنه ليحطم ما تحته. (1)

وهذا عتبة بن ربيعة شهد شهادة حق أخرية عندما ذهب إلى قومه فقال
يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل
منا بعضها ويفك عننا؟ قالوا: بلآ يا أبا الوالد.

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه
المال والملك وغير ذلك، فلم فرغ عتبة أسمعه النبي صلى الله عليه وسلم
بداية سورة فصلت فتملأ العين السكر لا تستفرج بالشرايين من قلب. أريد أن يسمع
إليكم وطيعكم، فعاد عتبة إلى أصحابه ليقول: والله لقد سمعت قولاً ما سمعت
بمثله قط، و والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة.... الخ.

بل إن إعجازه البياني كان سبباً في إسلام الكثيرين ممن كانوا من سادة
قريش وعظمائهم، أمثال عمر بن الخطاب، عندما خرج قبل إسلامه محاولاً
اعتراض النبي ﷺ، فوجدته قد سبقه إلى المسجد يقول: فقامت خلفه فاستفتح
سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال: فقت: هذا والله شاعر
كما قالت قريش، قال: فقرأ: فقيهاً وليّه وليّه ولحكا سرك أكره وما
أنتَ على السلك حتى؟ قال: قل: كاهن، قال: آين؟ فقناها جادة وندأ

(1) رواه الحاكم في المستاند - من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - (1305)

(2) رواه الإمام البهذي في دلائل النبوة - (407) - باب: الاعتراف مشركي قريش بما
في كتاب الله ( تعالى) من الإعجاز إلخ عن محمد بن كعب.

(3) سورة الحاقة، آية 40، 41.
وإن تأثر المتأثرين بالعليمين بهذا الكتاب العظيم، مؤكدة لنا أن إعجاز القرآن في بابه ونظامه رافق القرآن الكريم منذ بداية نزوله، بغض النظر عن نشأة التدوين والتأليف فيه كعلم مستقل التي تأخرت نوعا ما إذ كان العرب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه على درجة من الفصاحة والبلاغة تمكنهم من إدراك الأساليب القرآنية دون الحاجة إلى تدوين في ذلك الوقت.

وفي هذا المعنى يقول الزركشي: "إن قلت كيف عددت هذا الإعجاز (فيقصد الإعجاز) من أنواع علومه، من أن سلف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيه ولم ينقل عنهم شيء عن ذلك، وإنما هذا أحدثه المتأخرون؟ قلت: إنما سكت الأولون عنه؛ لأن الفقد من إزالة القرآن تعليم الحلال و الحرام، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان، ولم يقصد منه تعليم طرق الفصاحة وإنما جاءت لتكوين معجزة، وما قصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه؛ فلم يكن الخوض فيه مسؤولًا ولا البلاغة ليست مقصودة فيه أصلاً، وهذا موجود في الصحف الأولى لامع هذه البلاغة المعينة، وإنما كان بليغاً بحسب كمال المتحكم فلهذا لم يتكلم السلف في ذلك." (3).

(1) "الحاقة ، ٤٤٢-٤٤٦.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث عمر بن الخطاب. ج ١، ص ٢٦٢، إلا أن محقق الكتاب قال: استند عليه لانقطاعه.

(3) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ص ٣١١.
ويقي هذا الأمر بعد عصر النبوة والخلفاء الراشدين، وردها من الزمن في الدولة الأموية، إلا أن السماقة العربية بدأت تفقد صفاها وبدأ الثقافات الفارسية واليونانية تأخذ طريقها إلى المجتمع الإسلامي على يد أبناء الأقطار التي فتحها المسلمون، وبدأ الناس يفكرون بطريقة مجردة عن التذوق الجمالي وإدراك المعاني بالسماقة الصافية.

في ظل هذه المجتمعات المختلطة بالثقافات المختلفة بدأ الحديث عن موضوعات متعلقة بالقرآن الكريم فنشأت بابئ ذي بداء مسألة القول بخلق القرآن، وعلى إثرها بدأ أقوام لم يتجاوز إيمانهم ألسنتهم بالحديث عن مواضيع تتعلق بالقرآن ومنها: موضوع (إعجاز القرآن الكريم)، وما هو المقصود من إعجازه للعرب، وظهرت المقولة الشهيرة في ذلك الوقت القائلة بأن "إعجاز القرآن ليس بشيء ذاتي فيه، وإنما هو بصرف الله تفكير الناس عن معارضته"، وهو ما عرف بعد ذلك بمصطلح (الصرفة) والذي يعني أنه كان في مقدور العرب مجاراة القرآن الكريم والإتيان بهم مثله لما كانوا عليه من فصاحه وبلاغة إلا أن الله تعالى صرفهم وسلب منهم القدرة على ذلك، ومن هذا أنبرى جمع من العلماء للذود عن القرآن، ومحاولة نيل شرف خدمته بالدفاع عنه، فألفوا في إعجاز القرآن.

وقد مر التأليف في إعجاز القرآن بفترات ومراحل مختلفة، كانت بدايته في أوائل القرن الثالث الهجري أعرض لها بإذن الله حسب الترتيب الزمني للتأليف في هذا المجال على النحو التالي:

(1) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ج 1 ص 14.
(2) المرجع نفسه ج 1 ص 2، وينسب هذا القول إلى وائل بن عطاء شيخ المعتزلة في البصرة.
القرن الثالث: في فتوحه ألف الحاضر (ت 250 هـ) كتابه (نظم القرآن)، وكان تأليفه كردة فعل على شيخه المعروف ب (النظام) وهو صاحب القول بالصرفة، وهذا الكتاب غير موجود - كما أشار إلى ذلك العلماء - وإنما عرف بإشارات الحاضر نفسه في بعض كتبه الأخرى. ويعتبر الحاضر أول من عرف أنه تصدق للكلام في الإعجاز في نظم القرآن (1).

ويستدل هذا القرن البدايات الأولى للتلفيق في هذا العلم، وإن كان هناك من العلماء قبله من تحدث عن البلاغة في القرآن من أمثال القراء في كتابه (معاني القرآن) وأبي عبيد في (مجاز القرآن) إلا أن التالفيف في مجال إعجاز القرآن خصوصاً كانت بدايته على يد الحاضر.

وألف الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276 هـ) كتابه (تأويل مشكل القرآن)، ومن أهم ما تميز به كتابه الرد على الطاعونين في النص القرآني واستكشاف منهج القرآن وأسلوبه الذي تفرد به وأثبات إعجازه القرآن.

كما ألف الواسطي (ت 307 هـ) كتابه (إعجاز القرآن في نظمه وتالفه)، وهو أول من استعمل مصطلح الإعجاز وكتابه يعد من الكتب المفقودة .

وقد بنى كتابه على ما ابتدأ به الحاضر في كتابه كما أشار إلى ذلك الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية).

القرن الرابع: وفي هذا القرن بالتحديد بدأ يظهر الحديث بوضوح عن موضوع إعجاز القرآن الكريم من خلال الكتب التي كانت تحمل هذا المسمى حيث ألف الرماني (ت 384 هـ) كتاباً أسماه (النكت في إعجاز القرآن).

(1) المعجزة الكبرى - محمد أحمد أبو زهرة - ج 1 ص ٦٢.
ذكر فيه الرافعي أنه يعتبر المرحلة الثالثة من مراحل القول بأن الإعجاز أسلوبي باتياني (1) "و هذا الكتاب يتميز بأنه نقل الإعجاز خطوةً إلى الأمام بتحليل النص بشكل مفصل، مما أقدر قبليه من آراء (2) ثم ألف الخطابي (ت 388 هـ) كتابه (بيان إعجاز القرآن)، وقد تطورت فكرة الإعجاز البياني عندنا فأضاف إلى جانب النظم جان أن آخرين وهو إعجاز القرآن في معانيه، وهذه مرحلة جديدة أيضاً من التأليف في جانب الإعجاز البياني إذ أصبح إعجازه البياني لا يقتصر على نظمه وألفاظه فقط وإنما امتد ليشمل المعاني التي يشتمل عليها.

القرن الخامس: ظهرت في القرن الخامس مختارات متعددة لمثل الكلام، وظهرت مظاهر عديدة من الخلافات بين الطوائف الإسلامية من سنة وشيعة، كما ظهرت مظاهر التزول والإنحدار فتطورت الكتابة في شتى المجالات ومنها الكتابة في الإعجاز، وكان من أبرز من ألف الإمام الباقلاطي (ت 430 هـ) في كتابه (إعجاز القرآن)، الذي أجمع المتأخرون من بعده عليه أنه باب في الإعجاز على حدة "إذ أنه أعد للبحث عن أسرار في نظام القرآن من شأنها.

حين توضح توضيحاً دقيقاً أن توقيت الناس على إعجازه (3) و ألف الإمام الجرجاني (ت 471 هـ) كتابه (دلائل الإعجاز)، وحاول التركيز في كتابه على جانب النظم واعتبره الأساس في جانب إعجاز القرآن الكريم في خلاص التلازام والانسجام والتوافق بين النظم والمعنى، وأثبت أن الإعجاز القرآني يكمن في نظم البلاغي، وهو أول من

(1) إعجاز القرآن، الرافعي، ج 1 ص 106.
(2) موقع الدكتور هيفاء بن بشامان فيه الدعاء المساعد بقسم البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، بحث بعنوان الإعجاز البياني والمغري في القرآن الكريم.
(3) أبو بكر الباقلاطي ومفهومه للإعجاز القرآني، أحمد جمال عبد، ج 1 ص 22.
القرن السادس إلى القرن الثالث عشر: وفي هذا القرن ما يليه اتسع الاهتمام بموضوع الإعجاز البياني ليشمل مفسرين وغيرهم إلا أنه ظهر لي انحصر التأليف في مجال الإعجاز البياني بوجه خاص، فبعد أن كان الحديث عن موضوع الإعجاز البياني تأليفاً فيه الكتب أصبح يخصص للجزء ضمن كتب تتحدث عن موضوعات مختلفة وقد أسهم في هذا العصر علماء أجلاء كان لهم دور في بيان إعجاز القرآن الكريم من خلال حديثهم عن الإعجاز في كتبهم وتفاسيرهم ومن كان له أقوال في الإعجاز البياني خلال هذه الفترات:

- الإمام البغوي المفسر (ت 515 هـ) في كتابه (معالم التنزيل).
- وكذلك الزمخشري (ت 538 هـ) في كتابه الكشاف، وأبن عطية (ت 542 هـ) في كتابه (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز).
- وابن العربي (ت 436 هـ) في كتابه (أحكام القرآن).
- الفاضل عياس (ت 441 هـ) في كتابه الشفاء.
- الإمام فخر الدين الرازي (ت 606 هـ) في كتابه نهاية الإعجاز في دراسة الإعجاز.
- عبد الواحد الزملكاني (ت 727 هـ) في كتابه (البيان في إعجاز القرآن).
- ابن القيم (ت 751 هـ) في كتابه "الفوايد المشورة إلى علم القرآن وعلم البيان."
العصر الحديث:

يعتبر علم (إعجاز القرآن البصري) من أبرز العلوم التي حظيت باهتمام بالغ من العلماء في العصر الحديث، سواء فيما كتبوه ضمن تفاسيرهم أو فيما ألفوه في علوم القرآن وإعجازه، ويظهر جلياً في هذا العصر التطور الواضح في هذا العلم وظهور مظاهر أخرى لإعجاز القرآن البصري فتكاملوا في إعجاز القرآن في حروفه وأصواته، وجعله وكلماتها، وتناسقه وترتيبه، وفواكه سوره وحواسها، ومن أبرز من كتب فيه في العصر الحاضر:

1- مصطفى صادق الرافعي (ت 1356 هـ) في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية).

3- محمد عبد الله دراز (ت 1377 هـ) في كتابه (النبوأ العظيم).

4- سيد قطب (ت 1387 هـ) في كتابه (التصوير الفني في القرآن).

5- عائشة بنت الشاطئ (ت 1419 هـ) في كتاب (الإعجاز البصري في القرآن).

أضاف إلى ذلك الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار، والشيخ المراغي في تفسيره ومحمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتفصيل، ولكل منهم أقوال دقيقة وأراء صادقة.
المطلب الثاني
أهمية دراسة الإعجاز البصري

تعد دراسة الإعجاز البصري للقرآن الكريم من الأهمية بمكان، وإذا أردنا
كمسلمين نعرف على هذه الأهمية بوضوح فلا بد من الوقوف على عدة
جوانب تتعلق به وتتمثل في:

أولاً: موضوعه:

ما هو معلوم أن شرف العلم بشرف المعلوم، وموضوع علم الإعجاز
البصري هو كلام الله تعالى ومقدار ارتفاعه في الفضاحة والبلاغة إلى الحد
الذي أعجز البشر أن يأتوا بمثله والإعجاز البصري - في نظري - لا ينفك
عن أي آية من كتاب الله، فتراها في نظمه وأسلوبه وروحه وكلماته وترتيبه
وتناسق وكل ما يتعلق بهذه الجوانب ولهذا لا يبالغ إن قلت إن الإعجاز
البصري للقرآن يعد أوسع وأشمل من أي مفهوم آخر للإعجاز سواء أكان
علمياً أو تشريعاً أو عددياً وما إلى ذلك، وعلى هذا فدراسته تمثل دراسة
لكامل القرآن الكريم.

ثانياً: الغرض منه:

القرآن الكريم هو الآية الأولى والمعجزة العظمى للرسول صلى الله عليه
 وسلم ويتمثل الغرض الأساسي لدراسة الإعجاز البصري في إثبات مصدر
القرآن الرحي، وأنه كلام الله تعالى وليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم
بيان الأمثلة والشهادات التي تدل على عجز البشر مهما أتوها من بلاغة
وفضاحة عن الإثبات بمثله أو بعضه.

من أغراض دراسته أيضاً محاولة التوجيه في فهم كتاب الله تعالى فكونه
موجود في كل آية من كتاب الله كما ذكرت دعاوة لمزيد تأمل وتدبر كتاب
الله للوقوف على ما تضمنه من معان تطوري تحت الآية والآيات منه، وبهذا
يصل الإنسان إلى تعميق إيمانه بهذا الكتاب العظيم، وكونه منزل من لدن
ثالثاً: الحاجة إلى دراسته:
دراسة إجاز القرآن البياني - من وجهة نظري - تعتبر أرقى وسيلة
لإقناع غير المسلمين بصدق رسالة الإسلام.
كما أن لدراسةه دور كبير في تسليح المسلم بعلم قيمة تمكنه من الدفاع
عن هذا الكتاب العزيز ضد كل من تسول له نفسه أن يتعرض له، أو
يحاول زعزع الشكوك والشبهات في قضية إجازه لتكون أجمع، وإثبات
إجازته بدءاً بشهادته المشركون أنفسهم ومن يقرأ آيات التحدي التي تحدي
الله بها الكفار أن يأتوا بمثل القرآن، أو أقل سورة منه وعجزهم عن ذلك
سيدرك مدى عجز أفهام وقدرات البشر على مجاراة كلام رب البشر.
أضاف إلى ذلك كونه وسيلة لمعرفة الجهود العظيمة الممتدة عبر
التاريخ، والتي يبذلها علماء أجلاء لخدمة هذا الكتاب العظيم، ودور هذه
الجهود - بعد الله - في حفظه من التغيير والتبديل.
كما أن دراسته توقفنا على مدى ثراء هذه اللغة وعلى أسرارها
وزرعتها كإعجازها للعديد من المترادفات وروعة الصور فيها.
هـذه الجوانب مجتمعة تبرز لنا وتبديها أهمية دراسة هذا العلم على
وجه الخصوص وتجعل منه نوعاً ما من أنواع العلوم التي سعى بها
المسلمون عبر مختلف الأزمنة لخدمة كتاب الله ﷺ.
المبحث الثاني
أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم

إن المتأمل في كتاب الله ﷺ بعين البصيرة سيدرك أفاقاً من الإعجاز البياني لا حصر لها سواء ما كان منها متعلقاً بالأساليب، أو الألفاظ أو المعاني أو النظم الذي سار عليه القرآن من فاتحته إلى خاتمهه، ولا يزال القرآن الكريم وسيظل يمثل معيناً لا ينضب لكل العلماء والباحثين الذين ألفوا في إعجازه على وجه العموم وفي إعجازه البياني على وجه الخصوص.

وإن مهما تجد الإشارة إليه أن الكتابات في أوجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم قد تعدت بصورة واضحة وكبرية بين مفصل ومجمل لهذه الأوجه، والناظر في أوائل من كتب في الإعجاز البياني للقرآن الكريم من أمثال الرماني، والخطابي، والباقلاني، والجراحي سيدرك الاختلاف الحاصل بينهم حول تحديد وجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

فالرماني: يرى الإعجاز البياني للقرآن الكريم يظهر في أقسام البلاغة العشرة حيث قال بعد أن قسم البلاغة إلى ثلاث طبقات جعل أعلاها طبقة بلاغة القرآن وشبه البلاغة على عشرة أقسام، الإعجاز والتشبيه والاستعارة والتلاويم والفواؤل والتجانس والصرف والتضمين والمبادله وحسن البيان.
ورى الباقلاطي إعجازه راجع إلى تأليفه الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدت ألفاظه تركيبًا وزنة وعلت مركباته معنى، بأن يوضع كل ألفاظه في رتبته العليا في اللفظ والمعنى (1)

أما الإمام الجرجاني فيرى أن إعجاز القرآن الكريم كان في نظمه حيث قال: "أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوه في سياق لفظه، ويدائع راهمهم من مبادئ آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقفها" (2).

كما تحدث في هذه الأوجه للإعجاز البياني جماعة من المتقدمين ومنهم:

- الإمام الراقعي حيث كان يرى وجه إعجاز القرآن في النظم من خلال ثلاثة أمور وهي الحروف وأصواتها، الكلمات وحوفها، ثم الجمل والكلمات (3).

- أما الدكتور عبد الله داراز فيرى أن أظهر وجه الإعجاز هو الإعجاز اللغوي لأنه هو الذي وقع به التحدي حيث قال "والآن فلنبدأ وصفنا لبعض خصائص القرآن البيانية ولنرتبها على أربعة مراتب:

١- القرآن في قطعة قطعة منه.
٢- القرآن في سورة سورة منه.
٣- القرآن فيما بين بعض السور وبعض.
٤- القرآن في جملته" (4).

(1) إعجاز القرآن ، الباقلاطي ، ج ١ ص ٢٩.
(2) دليل الإعجاز ، الجرجاني ، ص ٣٩.
(3) أنظر إعجاز القرآن ، الراقعي ، ج ١ ص ١٤٦.
(4) أنظر النبأ العظيم ، عبد الله داراز ، ج ١ ص ١٤٢.
وبعد هذا العرض لأقوال بعض المتقدمين في أوجه إعجاز القرآن البياني

وأقوال بعض المتأخرين أقول:

إن من أراد الحديث عن الإعجاز البياني وكيف تقدى الله به العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، فلا بد أن يسلم يقينا بأن القرآن كله معجز سواء في أسلوبه، أو نظمه أو موضع كل حرف وكلمة فيه فكل آية من كتاب الله داخلة في هذا النوع من الإعجاز الذي عده كثير من العلماء وجه الإعجاز الذي تقدى الله به العرب عند نزول القرآن.
المبحث الثالث

أمثلة تطبيقية على أوجه الإعجاز البياني

عندما أريد أن أتحدث عن الإعجاز البياني بالأمثلة من القرآن الكريم، فهو يعني أن أتحدث عن انفراد القرآن الكريم بكل ما يتعلق بنظمه وأسلوبه وكلماته وحروفه وجعله وفواصله وكل ما يتعلق بذلك وهو أمر بعيد المنال في بحث كهذا، إذ القرآن كان وسيظل موردا لكل من أراد البحث في بيانه ولغته فهو الذي لا تنقضي عجابه ولا تنقضي أسراره. لذاك فإني بعون الله سأقتصر على بعض هذه الأوجه فأقول وبدافع التوفيق:

المطلب الأول: إعجاز القرآن في أساليبه

ويقصد بأسلوب القرآن الكريم طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه ولا غرابة أن يكون للقرآن الكريم أسلوب خاص به فإن لكل كلام إلهي أو بشري أسلوبه الخاص به"(1).

وأما وجه إعجازه من هذه الناحية فهي الأسلوب الذي جاء به القرآن ذو طابع معجز في لغته وبلاغته، وأسلوب القرآن مختلف عن غيره ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر ولا يمكن أن يقلد وهذا في أساسه إعجاز القرآن"(2).

والقرآن الكريم يقرأ من أوله إلى آخره فلا تلاحظ فيه إلا روعة الأسلوب وجمال المعنى في كل موضوع حتى مع اختلاف الأخلاق، فتجد أسلوبه في الأمر لا يختلف روعة ودقة وإحكام عن أسلوبه في النهي، كما أن من أبرز ما يميز الأسلوب القرآني "الفخامة والقوة والجمال التي اكتسبها

(1) مناهج العرفان، الزرقاني، ج 2 ص 302.
(2) دعاوى الطاعنين في الإسلام، عبد المحسن المطيري، ج 1 ص 159.
من انتهاء الألفاظ فلا امتهان فيها ولا ابتدال وأنت تشعر بهذه الفخامة في كل ما تناوله القرآن من الأغراض (1).

وأسلوب القرآن الكريم لمن ينظر إليه متعدد، فأحيانا يكون بالاستفهام والاستفهام أحيانا للتبني وحيانا يكون للتبنيه، والكلام يكون بإدانة لا حشو فيه قط، وفي الأطناب يكون تكرار القول وأحيانا يكون الكلام إيجازا ليس فيه إلا، وأحيانا يكون الكلام تهديدا تضطرب له القلوب وتفرز، وأحيانا يكون توجها يدعو إلى التأمل والفكر، وأحيانا بيان أحكام الحال والحرم وتوجيه أنظار المكلفين إلى حكمه، كل ذلك في أسلوب متناسب، مؤلفة ألفاظه، ومؤلفة معانيه، بحيث يتكون من الجمع صورة بيانية متناسقة في معانيها مؤلفة في ألفاظها لا ينبو واحده منها في لفظ أومعنى بل يتأخى الجميع (2).

والقرآن معجز بأسلوبه من حيث يعجز كل الخلق عن الإتيان بمثل هذه الصور المختلفة في الأسلوب الواحد على هذه الدرجة من الفضحة والبلاغة وهذه الوجوه هي التي جعلت كفر قريش يقفون في خير أمامه لا يستطيعون مضاهاته ولا الإتيان بأقل ما تحدثهم به، فهو في أسلوبه يجمع بين "الجزيرة والسلامة والقوة والعذوبة وحرارة الإيمان وتدفق البلاغة، فهو النور الباهز والحق الساطع والصدق المبين، الذي لما سمعه فصالحؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم سجدوا لله خاسعين، وما عجز أولئك بعد التحدي إلا دليل الإعجاز، وعظمة البيان، وجلال الأسلوب (3)، ولعل هنا أعرض لبعض النماذج التي تبين إعجاز القرآن في أسلوبه فاقول مستعينة بالله:

(1) من بلاغة القرآن، أحمد البدوي، ج 1 ص 186.
(2) المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة، ج 1 ص 149.
(3) أضواء على القرآن بلاغته وإعجازه، عبد الفتاح محمد سلامة، ج 1 ص 95.
من أساليب القرآن التي اتبعها في تبليغ هديته للناس:

١- ضرب الأمثال:

وضرب الأمثال في القرآن يعتبر من أبرز "أساليب الصياغة الفنية الرائعة الدالة على إعجاز القرآن في إبراز المعاني في قالب حسن يقربها إلى الأفهام، وفي صورة حية تستقر في الأذهان، وذلك بتشبيه الغائب بالحاضر والمعقول بالمحسوس، وقياس النظر في النظر، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ مَثَلًا لِّمَعْنَىٰٓ إِنَّمَا يُذْكِرُونَ الْآخَرَ يَدْعُونَ الْآخَرَ ۖ ذَٰلِكَ الْكَسَارُ الْغَلْطَاءُ ۚ إِنَّ الْأَخَرَ لِئَلَّا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

وبين أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ مَثَلًا لِّمَعْنَىٰٓ إِنَّمَا يُذْكِرُونَ الْآخَرَ يَدْعُونَ الْآخَرَ ۖ ذَٰلِكَ الْكَسَارُ الْغَلْطَاءُ ۚ إِنَّ الْآخَرَ لِئَلَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).  

هذا مثل أراد الله تعالى أن يضربه لتقبيح عبادة الأوثان، ولك أن تنظروا إلى روعة الأسلوب في استخدام المثل في هذه الآية بعد أن بدأ في الآية بتتبие الأفكار المشتشتة للاستباه لما سيلقي، قرر سباقته ضعف الآلهة التي تخطوها من دون الله، وهو بهذا المثل يصور للعالم أجمع صورة الضعف الذي وصلت له هذه الآلهة إذ وصلت لحالة من الضعف المزري ليس وراءه زيادة فيهم لن يخلقوا ذنابا والذباب مخلوق حقيق وضيع، لن يخلقوه متجنين فأولى متفرقين" (٣).

ثم انظر إلى الروعة التي لم تنتهي في وصف حالة ضعف هذه الآلهة إلى هذا الحد، ولكن زادت المثل قوة وروعة في التصوير ليكون أقوى في الداله

(١) سورة العنكبوت، ٤٣.
(٢) الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب الهاجة، ص ١٧٧.
(٣) سورة الحج، ٧٣.
(٤) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، عبد العظيم المطغني، ج ٢، ص ٢١٨.
وأكد في التعبير، فَأَكَّدَ سَبِيحَانَهُ أَنَّ "هَذَا المَخَلُوقُ الْحَقِيقِيّ الْذِّبَابِ" لَوَ اسْتَلِبْهُمُ شَيْئًا عَجِزْوَا عَنِ اسْتَنَقَذَاهُ مِنْهُ (١).

وَلَكَ هُناَ أنْ تَتَأَمَّلُ الْحَكِيمَةُ مِنْ اسْتِخْتِرَاءِ خَلْقِ الْذِّبَابِ كَمْثَلَ لَعْجَةِ الْآلِهَةِ الَّتِي تَعْبِدُ مِنْ دُونَ اللَّهِ، إِذْ أَنَّ عَجْزَهَا هَذِهِ الْآلِهَةُ مَعَ كَوْنِهَا مَجْمُوعَةً عَنْ خَلْقِ الْذِّبَابِ عَلَى حُقْارَتِهِ وَصَغْرِهِ يوْحِي بِعَجْزٍ هَذِهِ الْآلِهَةِ عَنْ خَلْقِهَا مَا هُوَ أَكَثَرُ مِنْ مَنْ بَابٍ أَوْلِيٍّ.

وَالْمَثْلُ فِي هَذِهِ الْآلِيَةِ الْمِبَارِكَةُ يَتَرِكَ لِلْخَيْلِ أنْ يَسْتَحْضِرُ صُوْرَةَ الْآلِهَةِ الْمَزْوَعَةَةُ تَجْمَعُ عَلَى خَلْقِ ذِبَابِ صَغِيرٍ وَتَرْتِدُ عَنْهُ عَاجِزةً ضَعِيفَةً، وَهَذَا الْتَصْرُّفُ لَهَا فِي منْتَهى الْتَحْقِيرِ وَالسَّخْرِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ الْضَّعِيفَةِ الْعَاجِزةِ.

تَمُّ يَمْضِيْ تَصْرُّفُ المِثْلُ لِإِبْرَازِ العَجْزِ فِي صُوْرَةٍ أُخْرَى أَكْثَرُ سَخْرِيَةً وَإِضْحَاكًا وَتَحْقِيرًا لِلَّذِيْنِ الْآلِهَةِ الَّتِيْنِ تَعْجِزُ عَنْ دَفْعِ الْذِّبَابِ عَنْهَا، أَوْ فِي اسْتِرْدَادِ مَا سَلْبُهَا الْذِّبَابُ إِيَادُهَا وَيَتَابُعُ المِثْلُ هَذِهِ الْحَرْكَةِ الْتَخْيِلِيَةُ لِلَّذِبَابِ، وَهُوَ يَجْـمُعُ عَلَى هَذِهِ الْآلِهَةِ الْمَزْوَعَةَةُ وَهِيْ لَا تَقْويَةٌ عَلَى رَدُّهَا وَصُوْرَةُ الْذِّبَابِ المَجْمُوعُ فَوْقَهَا يَوْحِي بِالْتَحْقِيرِ مِنْ شَأْنِهَا، كَمَا أنْ تَصْرُّفُ الْآلِهَةِ وَهَيْ تَتَأَمَّلُ الْذِّبَابُ لِإِسْتِرْدَادِ مَا سَلْبُهَا مِنْ هَذِهِ حَرْكَةٍ تَخْيِلِيَةٍ تَوْحِيَةً بِالسَّخْرِيَةِ مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ الْعَاجِزةِ الْضَّعِيفَةِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ (٢).

بِمَثْلِ هَذِهِ الْرُّوْحَةِ وَهَذَا الْتَخَانِمُ لِلْأَسْلُوبِ تَسْكِرُ كُلُّ أَمَثَالِ الْقُرْآنِ لِتَرْسِمُ فِي الْعَقْلِ وَالنَّفْسِ صُوْرَةً لِهَذَا الْكِتَابِ العَجِيزِ الَّذِي عَجِزُ الْخَلْقِ كَلَّهُمْ عَنْ إِدْراَكِ أَسْرَارِهِ، أَوْ مَضَاهَاةِ رُوُعُهَ وَجُمَالِهِ.

(١) المَرْجَعُ نَفْسِهُ، جّ ٢ صِ ٢١٨.
(٢) وَظِيفَةُ الصُّوْرَةِ الْقَلَيْنِيَةُ فِي الْقُرْآنِ، عَيْدُ السَّلَامِ الرَّاغِبِ، جّ ١ صِ ١٦٥.
2. أساليب التقدم والتأخير:

يعتبر هذا الأساليب في القرآن الكريم من أروع الأساليب وأدقها، فهو أساليب فاق بكثير ما عرفته العرب في نغتها، فتراه مرة يقدم ومرة يؤخر حسب المقام والسياق، ثم هو يراعي في ذلك جميع المواضع التي ترد فيها اللغة ثم ينظر لها نظرة واحدة شاملة في القرآن كله فتبدو أفاظه كلها في اتساقها وروعتها كعقد فريد منظم.

وقد عد السيوطي في الإفتقان عشرة أسباب للتقدم والتأخير في القرآن الكريم (1).

والمتأم في واقع التقدم والتأخير في القرآن الكريم سيدرك تماما أنه لا يمكن لكلمة أو جملة أن تتقن أو تتأخى عن مكانها دون غاية تهدف إليها، وهذا الأساليب يعتبر واحدا من أساليب القرآن الكريم المعجزة التي ينبغي أن يقف المسلم مع أسرارها ودلالتها.

ومن أمثلة التقدم والتأخير في القرآن الكريم:

قوله تعالى: [وَلَكَ مَنِيتُكَ وَلَا جَمِيعُ السَّارِحِينَ لِلَّذِينَ مَاتُوا وَلَيْسَ لِلَّذِينَ مُتَّلَكَانَ] (2).

فلمما قد قدم القتل على الموت في الآية الأولى، بينما قدم الموت على القتل في الآية الثانية؟

قد يبدو للقارئ لأول وهلة عدم وجود مقتضى لهذا التقدم والتأخير ولكن بالنظر والتأمل في الآية سيدرك أنه ما كان أمرًا عشوائيًا، وإنما هو سر من أسرار إعجاز القرآن البياني، ولتوضيح ذلك لننظر في الآية نظرة متأملة في فاحصة لندرك الحكمة.

(1) الإفتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج 3 ص 40.
(2) آل عمران، 157–158.
إذا عدنا لسياق الآيات قبل هذه الآية سنجد حدث عن أمر القتال في سبيل الله، وفيه أخبر الله بقول المنافقين الذين عيروا المسلمين بكثرة قتالهم في غزوة أحد حيث قال: {ِنَا أَبَيْتُمُ اللَّهَ وَأَبَيْتُمُ اللَّهُ وَأَبَيْتُمُ اللَّهَ وَأَبَيْتُمُ اللَّهُ وَأَبَيْتُمُ اللَّهَ وَأَبَيْتُمُ اللَّهَ وَأَبَيْتُمُ اللَّهَ وَأَبَيْتُمُ اللَّهَ وَأَبَيْتُمُ اللَّهَ وَأَبَيْتُمُ اللَّهَ وَأَبَيْتُمُ اللَّهَ} إذا صبروا في الأعرق أو كانوا غزاة أو كانوا يعتدون ما لم يكن وقليلوا ليجعل الله ذلك حسراً في قلوبهم.

{ والله يجيء追赶 demande se repent (1)}

إذن سياق الآية كان حدث عن القتال في سبيل الله والقتال فيه، فناسب في الآية معنا أن يقدم القتال على الموت لأنه المقصود بقول المشركين ولهدى جعل الله خاتمة الآية تتحدث عن المغفرة التي هي ثواب من قتل في سبيل الله.

أما في الآية الثانية التي قدم فيها الموت على القتال، فذلك لأن الخطاب صار عاماً للأمة ولم يعد يخص المقاتلين والموت بهذه الصورة هو مصر عموم المخاطبين قدمه مراعاة للسياق، وللهذا جعل الله خاتمة الآية تتحدث عن الحشر لإشعار بمصير الخطاب.

وفي هذا يقول الإمام الشعراوي في تفسيره "لنا أن نلاحظ أن قول الحق في الآية الأولى جاء بتحديد القتال على الموت لأنها جاءت في المقاتلين والغالب في شأنهم أن من يلقى الله منهم يكون بسبب القتال أكثر مما يكون بسبب الموت، وفي الآية الثانية قدم الموت لأن الآية جاءت لبيان أن مصر جميع العباد ومرجعهم يكون إلى الله وأن أكثرهم تزهق روحه وتخرج من بذنه بسبب الموت " (2).

(1) تفسير الشعراوي ، ج 3 ص 1835
(2) آل عمران ، 156.
المطلب الثاني: إعجاز القرآن في ألفاظه

وأعني بلفظ القرآن حروفه وكلماته المكونة لجملته، فإن القرآن الكريم جاء ليستخدم ذات الحروف والألفاظ التي يستخدمها البشر عند التعبير عن المعاني التي تدور بخواطرهم، إلا أن القرآن جاء بدقة متناهية في اختيار ألفاظه، وما ذلك إلا لأن قائله هو الله خالق الكون وكله والعالم بما فيه، ثم إن بلاغة البشر لا تكون إلا على قدر علمهم بمقتضى حال المخاطب، وعلم البشر بأحوال المخاطبين محدود أما علم الله بخلقه فلا حد له، ومن هنا استمد القرآن إعجازه في ألفاظه التي حبرت أرباب العقول والأفهام.

ولعل بالمثال يتضح القول فاقول مستعينة بالله تعالى:

1- إعجاز القرآن في حروفه:

انظر معى لقول الحق تبارك وتعالى في وصف حال كل من أصحاب الجنة وأصحاب النار يوم القيامة كما تصوره سورة الزمر (۱۱۶): "فَبَشَّرْنَاهَا بِالجَنَّةِ وَلَا تَضَحَّى بِهَا وَلَا تَضِرَّ بِهَا فَعَلَّهَا بِكَانَتْ رَحْمَةً مُّبَارِكَةً وَلَا تَضَحَّى بِهَا وَلَا تَضِرَّ بِهَا فَعَلَّهَا بِكَانَتْ رَحْمَةً مُّبَارِكَةً".

ففي هاتين الآيتين يذكر الله تعالى حال المؤمنين الذين آمنوا به واتقوا

وحال الكفار الذين تعنوا وحاربوا الله ورسوله في صورتين رأعتين من

سورة الزمر ، ۷۱ - ۷۲ .

(۱)
صور التعبير القرآني الذي يعجز البلاغاء، ويأسر القلوب ويجبر العقول، ويتأثر بالوفق والفرح.

هذا السياق القرآني تأتي جملة متشابهات تبين حال المؤمنين والكافرين لحظة وصولهما إلى الأبواب لكنه ذكر حرف الواو في إحدى هاتين الآيتين فقال في وصف وصول أهل الجنة (وفيتحت أبوابها) ولم يذكرها في الأخرى فقال في وصف وصول أهل النار (وفيتحت أبوابها).

هذا حرف واحد أدخل في جملة فأفاد معنى وحذف من الأخرى فأفاد معنى آخر فما لسر في ذلك؟

لو تأملنا في سياق الآية الكريمة لوجدنا أن الله في الآية الأولى كان يتحدث عن المشركين ويصف لحظة وقوفهم أمام باب النار أجازنا الله منها فقوله (وفيتحت) يشعر بأن هذا الباب كان مغلقا ولم يفتح إلا عند وصولهم وهذا مشهد فيه من الرهبة ما فيه.

أما الآية الثانية فهي حديث عن المؤمنين ووصف للحظة وقوفهم أمام باب الجنة نسأل الله من كرمه فقوله (وفيتحت) يشعر بأن الباب كان مفتوح مسبقًا استعدادًا لاستقبالهم.

وفي هذا المعنى يقول الظاهر بن عاشور في تفسيره "فلمما جاؤوها فتحت أبوابها" أي وكانت مغلقة لتفتح في وجههم حين مجيئهم فجاة تهويل وروعيا ... ثم قال: وفيتحت أبوابها، أي وجدوا الأبواب مفتوحة على ما هو الشأن في استقبال أهل الكرامة (1).

وقد جاء في توجيه مجيء الحرف وعدمه عند أبي حيان معنى آخر ذكره في تفسيره فقال: "فتحت أبوابها دل على أنها لا تفتح لهم إلا إذا جاؤوا كسائر أبواب السجون فإنها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون...

(1) التحرير والتنوير، الظاهر بن عاشور، ج 24 ص 72.
فيها فيفتح ثم يغلق عليهم، ثم قال: وفتحت أبوابها، أي وقد فتحت أبوابها.
وهو أن أبواب الأفراح تكون مفتوحة لانتظار من يجيء إليها (1).

2. إعجاز القرآن في كلماته:
للكلمة القرآنية وموضعها في السياق القرآني ميزة لا تجدها في سائر كلمات البشر مهما ارتقت في سلم الفصاحة والبلاغة فقد توضع كلمة في موضع من القرآن مهما استبدلت بغيرها ولو كانت من مترادفاتها فلن تقوم مقامها، ومن أهم ما يميز الكلمة القرآنية المعجزة (2):

1- جمال توقيعها في النفس، فليس في القرآن كلمة أو لفظ ينبع عن السمع ويتناصر مع ما قبله أو ما بعده، فالكلمة القرآنية في الزروة من الفصاحة والبلاغة.

2- اتساقها مع المعنى، وكان القارئ يشكو منها راحة المعنى المطلوب أو يلاحظ فيها إشراقا يصور المعنى أمام العين.

3- اتساع فنها لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى من المعاني عادة بحيث يعبر بكلمة واحدة عن معنى لا يستطيع التعبير إلا ببعض كلمات أو جمل.

لناخذ مثال على ذلك قوله تعالى: قلين اصبع وجميل أطر سكنا وانبسط (3).
تأمل كلمة سكنا في الآية ما سر التعبير بها في الآية مع أن هناك عدة كميات متناقضة معها في المعنى مثل كلمة هدوء - طمأنينة، إلا أن التعبير القرآني أثر التعبير بهذه الكلمة فما السر في ذلك؟

(1) البحر المحيط، أبو حيان، ج 9 ص 225.
(2) الواضح في علوم القرآن، ص 166.
(3) الأعجم، 96.
إنك لو تأملت الكلمة القرآنية (سكيما) لوجدت أن طبيعة الأحرف التي منها مع توالي الفتحات على حروفها تشترك بذلك الهدوء الذي يبعث الطمأنينة وينشر الأمان والراحة في أنحاء النفس، دون أن تحتاج في ذلك إلى معرفة أي دلالة لغوية.{1}

فكلمة سكنى في الآية أعطت من الدلالات التي تشعر بالهدوء والراحة أكثر مما تعطيه غيرها من الكلمات وإن تقاربت معها في الدلالة اللغوية.

ولك أن تقول بهذا المعنى في كل كلمة وردت في الآية الكريمه مما هي أوسع دلالة وشمولا من غيرها ولو اتفقت معها في أصل الدلالة اللغوية، فليس في ألي أن اللغة كلها أعجز من أن تأتي بإفاضتها أخرى خير منها في الدلالة على المعنى وتصوير الأحاسيس المطلوب تصويرها، ومهما غيرت في الآية أفسدت من بهائها، ونقصت من روعتها وإشراقها.{2}

وبعد هذاعرض الموجز لإعجاز القرآن في الفاظه بحروفها وكلماتها أقول: "هل يطبق بشر كائن من كان أن يخضع اللغة لمقصده في هذا الإخضاع العجيب، فيجب أن المعاني المختلفة في [حرف أو كلمة تأتي طوع مقصده ومراده بدون أي تحمل أو تكلف أو تقصر? إن العقل لا يرتاب في أنها صنعة رب العالمين وكلامه.{3}"

---

{1} من روائع القرآن، البوطي، ج1 ص141.
{2} المرجع نفسه، ج1 ص141.
{3} المرجع نفسه، ج1 ص143.
المطلب الثالث: إعجاز القرآن في تناسبه وتناسق نظمه

نزل القرآن الكريم منجما في ثلاث وعشرين سنة، ومنذ ذلك الحين لم يطرا على تناسقه وتناسبه من أوله إلى آخره أي اختلاف بل لزال العلماء يكتشفون كل يوم سرا من أسراه وعجبا من عجائبه في تناسقه وارتباطه من أوله لأخره بالشكل الذي صبره كعقد فريد منتظم.

فالنظم القرآني البديع بهر العرب بحسن مبادئه ومقاطعه وتماسك الكلمات واتساقها في التراكيب ... ووجدناه فيه اتساقا، ونظاما وتناسما وإنقانا وإحكاما بهر العقول وأعز أهل الحكم والبلاغات ... وجيء النظم القرآني على هذا الشكل من الإيقان والإحكام إنما يعود كما قال ابن عطية إلى أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، أحافظ بالكلام كله علمنا، ومعلوم ضرورة أن يشرع ما كن قد محيطنا فللهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة "(1) .

وتناسب القرآن وإعجاز نظمه لا يختص بآية دون آية أو بسورة دون سورة، بل أمر عام مشاهد في القرآن كله، فترى فيه التناسب الأخاذ بين مطلع السورة وختامها، وبين خاتمة السورة ومطلع ما بعدها، وبين الآيات في السورة نفسها على تعدد مواضيعها، كما تلاحظه في اسم السورة ومناسبته لموضوعاتها وله أبرز ما يوضح هذا الجانب في القرآن الكريم. علم المناسبات وما يعرف حديثا باسم التناسق الموضوعي.

إن من يقف على روعة القرآن وحسن نظامه واتساقه سيدع نفسه أمام بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصل، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، ثم

(1) مباحث في إعجاز القرآن ، مصطفى مسلم، ج 1 ص 134.
تنتمي هذه المعاني كما تنتمي الأعضاء في جسم الإنسان، بين كل قطعة وجهاتها رباط موضوعي من أنفسهما كما ينتقى العظام عند الفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشاحات تحيط بهما عن كثب كما يشتكع العضوان بالشرابين والعروق والأعضاء (1).

وأنا إذا أدرت أن أقف على التناسق والتناسب في سور القرآن سيبطل بناء الحديث، إذ الحديث في هذا الموضوع من الأمور التي تتجدد حينا بعد حين، ففي كل لحظة وفي كل حين لا زال ينجلج للعلماء والباحثين درر من أوجه انتظامه ولائي من صور تناسبه، وقد وجدت مناسبة هنا للدلالة على هذا الوجه من أوجه إعجازه أن أنقل جزء من دراسة كنت قد سبق وأجريتها حول التناسق الموضوعي في سورة القمر، وهي جزء من رسالتتي في المجاههر أحسب أن استشهد بها هنا تنتبين هذا الوجه العظيم من أوجه إعجاز القرآن الكريم فأقول وباﷲ التوقيع:

سورة القمر إحدى سور القرآن العظيمة التي يحار الفكر في روعة التناسق والتناسب فيها، وما إن يتأملها الإنسان ويمعن فيها النظر إلا وينجلي له من دررها ما يجعله يراها كالعقد الفريد المنظم الذي يسير في تناسب وانتظام من مبدأه إلى منتهاه، وهي إلى جانب ذلك غاية في التناسب والتناسب مع ما قبلها وما بعدها ومهما أبين هذا في السطور التالية فأبدأ بذكر مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ثم مناسبة أسم السورة لموضوعاتها ثم مناسبة فاتحة السورة وخامتها لموضوعاتها.

(1) العظيم ، دراز ، ص 188.
أولاً: مناسبة سورة القمر لما قبلها (سورة النجم):

إذن المتأمل في هذه السورة الكريمة (القمر) يلاحظ أوجهها عديدة من المناسبة بينها وبين سابقتها سورة النجم، ولعل من أوجه المناسبة بين هاتين السورتين ما يلي:

1- لا يخفى على كل عاقل ما بين هاتين السورتين (النجم - القمر) من تناسق وحسن تناسب، إذ أن النجم والقمر متلازمان، فالقمر يستمد ضوئه من النجم (الشمس) فكان في إلتقاط سورة النجم بسورة القمر تناسب وتناسق بشأنها في ذلك شأن توالي سورة الشمس والليل والضحى.

2- أول سورة القمر مناسب لآخر سورة النجم، في اشتياهما على ذكر قرب يوم القيامة، حيث قال تعالى في آخر سورة النجم:﴾لأنتَ مَلَكُو لَّا ظُلِّمْتَ﴾ (2) بمعنى قربت القيامة، وقال في بداية هذه السورة الكريمة:﴾ثَمَّ شَيْءٌ مِّنَ الْخَيْرَاتِ الْمُبَارَكَةِ﴾، إلا أنه في سورة القمر ذكر دليلا على الاقتراب وهو انشقاق القمر.

1- لما أعلمهم سبحانه في آخر سورة النجم { بأن إليه المنتهى وأن عليه النشأة الأخرى وأن ذلك يقع جزاء كله نفس بما أسلفت أعلمهم سبحانه بقرب ذلك اليوم وحذابه، لئذ يدجر من وفقه للإزدجار فقال تعالى:﴾وَذَٰلِكَ الْقُرْآنِ الرَّفِيعُ﴾ (1).

2- سورة القمر فصلت ما أجمل في سورة النجم، إذ جاء في هذه السورة (القمر) إيضاح لأحوال الأمم التي كذبت رسلها وتفصيل لهاكلهم الذي أشار إليه في سورة النجم يقوله:﴾فَتَّقِيمِ﴾

---

(1) التفسير المنير، وهبة الزهلي، ج 27 ص 142 - بتصرف
(2) سورة النجم، آية 57
(3) انظر المصدر نفسه ج 27 ص 142 - بتصرف
(4) البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الثقفي، ج 1 ص 319-320.
3- في سورة النجم قرر المسؤلين صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينطق عن الهوى، وكل ما جاء به فهو وحى يوحى. ثم أعقب هذا التقرير بذكر حادثة تدل على صدق ذلك وهي انشقاق القمر بما لا يدع مجالا للشك ففي شيء مما جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم.

4- في سورة النجم ذكر المسؤلين حال الكفّار عامة وقبيش خاصة، في ارتدائهم عبادة الأوثان من دون الله ونسبتهم البنات له سبحانه - تعالى الله عما يقولون على كبيرا- وما تبع ذلك من أمرهم بالإعراض عليهم في قوله تعالى: (الله عز وجل) وفِذَّاقَ الْمَلَائِكَةَ أَسْجَدْنَاهُ لَاتَّبَعَ إِلَيْهِ ؛١٦١

ثم أتبع ذلك بتفصيل ذكر أحوال الأمم السابقة مع أبنائها تسليط لقبيش بذكر حال إخوانه من الأنبياء مع أمهم، وما آت إليه مصير المكذبين المعادين.

ثالثاً: مناسبة سورة القمر لما يليها (سورة الرحمن).

وتظهر صلة سورة القمر بسورة الرحمن من أوجه:

(١) سورة النجم، آية ٥٠-٥٢.
(٢) المراغي. تفسير المراغي، ج. ٢٥ ص ٤٧.
(٣) سورة النجم، آية ٢٩.
1- سورٌ القرآن ختمت بقوله تعالى: «إِذْ شَهَّرَ النَّارُ أَلَّمَ (١) المُتَضَمِّنَ لِصَفَاتِ المُولِي وَهُماً المَلِيُّكَ المَقَدُّر، أَيِّ الْمَلِكِ تَمَامُ الْمُلَكِ، وَالْقَادِرِ تَمَامُ الْقَادِرِ، وَهَذَا الْصَّفَتَانِ قَدْ تَبَعَثُ الرَّهْبَةَ فِي الْقُلُوبِ، وَالْخَوْفِ فِي الْبُطُورِ»، فَفَاتَتْهُ سُورَةُ الرَّحْمَنُ بعدها بقوله: «إِلَّا» (٢) لِتَتَوَكَّدَ أَنَّ رَحْمَتِهِ سَبَقَتُ غَضَبِهِ، أَنَّ حَلَمِهِ سَبَقَ عَقْوَبَتِهِ.

2- أَوْحَى المُولِي قَبْلَهُ في سُورَةِ الْقُرْآن، مَا آَلِهٌ مَصِيرُ المَكْتُوبين المعانِدِينَ عَلیَّ أَمَتَادَ الأَزْمَه، وَعَطَا بِهِمْ الْعَصُورَ، ابْتَدَأَ بِصَبِيحَةِ سِدِّيْنا مُهْرَمَ، فِي قُوَّمِهِ وَإِنَّهَ يَبْنِيَ كِفْرٌ وَكُلَّ ذَٰلِكَ مِنْ هَذِهِ الأَمَةِ، وَجَاءَتْ بعَدَّ ذَٰلِكَ سُورَةُ الرَّحْمَانُ لِتَتَقَرَّرَ أَنَّ سُبَقَانِهِ مَآ أَهْلِكُ منْ أَهْلِهِ إِلَّا بعَدَّ الْبِيْانِ، وَقَيَامِ الْحَجَّةِ، فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ أَوْجَهُ وَنَفَذَ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ وَعَلَّمَهُ الْبَيْانَ، وَلَهُ الْقُوَّةُ الْتَأْثِيرِيَّةُ، وَهُوَ الإِدْرَاَكُ لِلأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْجَزِئِيَّةِ، وَالْحُكْمُ عَلَى الْحَاضِرِ وَالْغَانِبِ بِقِيَاسِهِ عَلَى الْحَاضِرِ، تَأَتَّى بِالْتُوْسُمِ، وَأَخْرَى بِالحَسَابِ، وَمَرَّةً بِالْبَطَغَةِ وَالْمَجَدِّ، وَمَرَّةً بِالنَّظَرِ، وَأَخْرَى بِالْأَفَاقِ، وَغَيْرُ ذَٰلِكَ مِنْ الأَمْوَارِ (٣).

3- كَلا السُّورَةَانَ تَضْمِنَا الدُّعِيَّةَ عِنْدَ مُعَجَّزَةِ مِنْ مَعْجَزَاتِ الرِّسُولِ صلى الله عليه وسلم، فَفِي سُورَةِ الْقُرْآنِ جَاءَ الدُّعِيَّةَ عِنْدَ مُعَجَّزَةِ شَقِّ الْقُرْآنِ، وَفِي سُورَةِ الرَّحْمَانِ جَاءَ الدُّعِيَّةَ عِنْدَ قُرْآنِ الكَرِيمِ، المَعْجَزَةُ الكَبِيرَةُ الَّتِي أُوْتِيَهَا مُحَمَّدُ صلى الله عليه وسلم.

(١) سُورَةُ الْقُرْآنِ، آيَةٌ ٥٥
(٢) سُورَةُ الرَّحْمَانِ، آيَةٌ ١
(٣) البَقَاعِيُّ، نُظِمْ الدُّرُرُ جُزء١:٣٧٣٧٨-٣٧٤٣.
قال الإمام الرازي - رحمه الله -: "افتح الله سورة القدر بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيمنة، وهو انشاق القمر، فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقد الرجال، وافتحت سورة الرحمن بهذين معجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم فإنه فيه شفاء القلوب، والصفاء عن الذنوب."

4- تضمنت سورة القدر الحديث إجمالاً عن مصير المجرمين والمتقينين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿ ﴿وَلَا تَكُونُ لَهُمْ نِعْمَةٌ ﴿ ﴿وَلَا رَحْمَةٌ ﴿ ﴿نِيَّةً ﴿ ﴿وَلَا مَغْفرَةً ﴿ ﴿بَلْ ﴿ ﴿تَذْكِيرَةً ﴿ ﴿لِلْيَاءٍ ﴿ ﴿الْقُرْآنِ ﴿ ﴿بَيْنَ الْبَيْنَيْنِ ﴿ ﴿(١)﴾، وجاء تفصيل هذا الإجمال في سورة الرحمن، كما أجملت سورة القدر الحديث عن يوم القيامة وأهوال النار ونعيم الجنة، وفصل هذا الإجمال أيضاً في سورة الرحمن. ﴿(٤)﴾

5- "عدد في سورة القدر ما نزل بالأم التي خلت من ضروب النقم، وبين عقب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس وإيقاظهم، ثم نعى عليهم إعراضهم، وفي سورة الرحمن عدد ما أفض الله على عباده من ضروب النعم الدينية والدنيوية، في الأنفس والأفاق، وأنكر عليهم إشر كل منها إخلالهم بموجب شكرها. ﴿(٥)﴾

6- "النظم الذي جاء على سورة القدر يشابه النظم الذي جاءت عليه سورة الرحمن من حيث تكرار بعض المقاطع مرات متعددة، فقد كرر

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٣٩ ص ٣٣٥.
(٢) سورة القدر، ج ٤٧.
(٣) سورة القدر، ج ٥٤.
(٤) التفسير المنير، زهري، ج ٢٧ ص ٢٧٢ /التصريف/ المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٧ ص ١٠٤ /التصريف/.
(٥) المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٧ ص ١٠٤.
في سورة الفقر قوله تعالى: «كم ساءت نعه من نعاته عليه السلام!» أربع مرات، وقوله: «على شجرة من قنبل ولا برك» أربع مرات أيضاً، وفي سورة الرحمان للواء قوله تعالى: «طيبتيضمات عليماً» إحدى وثلاثين مرة، وفي هذه المتتاليات: «كم ساءت نعه من نعاته عليه السلام!» على شجرة من قنبل ولا برك» ثم: «طيبتيضمات عليماً» في هذه المتتاليات تدرج من الإذار والتخويف من عذاب الله، إلى عرض وسيلة النجاة من عذاب الله وتيسير الاتصال بها والوصول إليها، وهي القرآن، إلى مسألة هؤلاء المدعوين إلى كتاب الله كيف يكذبون بآلاء الله ونعمه التي من أعظمها وأجلها هذا الكتاب الذي يدعون إليه.«1

ثالثاً: مناسبة اسم السورة موضوعاتها:

سورة الفقر على الرغم من تعدد موضوعاتها، إلا أن المتأمل في السورة الكريمة يجدها كالبناء الواحد المحكم القائم على أساس متين، فهي وإن تعددت موضوعاتها إلا أنها في نهاية المطاف تسعى جميعها لتحقيق وتأكيد حقيقة واحدة وموضوع واحد يتمثل في محور السورة الرئيسي.

فالمملكة المكرمة كليها تقريرا حديث عن الإذار والتذكير وعدم استفادة الكافرين من الإذار وجزاؤهم في الدنيا والآخرة.«2

وقد جاء هذا المحور في السورة الكريمة مدعوها بعدة مواضيع وقصص تثبت وتؤكد وجود أقوام من البشر لا يجدي معهم وعظ ولا تنفعهم نصيحة ابتداء من قوم نوح آله وانتهاء بمن كذب من هذه الأمة.

1 التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ج. 4 ص. ٢٥٠.
2 نعيم الكامل، الأسس في التفسير، ص. ٥٩٧.٢.
ولك بعد ذلك أن تتأمل كيف سميت هذه السورة بهذا الاسم (القمر) لتبقى شاهدة على هذا النوع من المكذبين في مختلف الأوقات والآثام، وفي بلغ من عظم الآية والمعجزة التي أجريها الله على يد نبيه صلى الله عليه وسلم إلا أن القوم أصروا على العنان والسوار في طريق من سبقهم من المكذبين بله ورسله.

وقد كان الحديث في بداية السورة المباركة عن موضوع اقتراح الساعة وفي ذلك نوع تناسب بينه وبين تسمية السورة بهذا الاسم، إذ القمر هو أحد المظاهر الكونية التي سيختل نظامها في ذلك اليوم العظيم، فإذا كان الاختلال قد وقع بالفعل عند اشقاقه في زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك يناسب تسمية السورة بهذا الاسم من باب التأكيد على قدرة الله على قلب موازين الكون والإخلال بنظامه متى ما أراد سبحانه.

كذلك فإن من تأمل السورة الكريمة وجدها حافلة بظاهر القدرة الإلهية والمشيئة الروحانية، من خلال الإشارة إلى بعض من المظاهر الكونية التي هي من خلق الله ﺖ. ﻣ. وكيف صارت بأمره سبحانه وبالا ونكايا على من كذب به، ولما كان القمر أعظم هذه المظاهر الكونية في السورة الكريمة ناسب تسمية السورة به، إذ إنه وبغض النظر عن كون اشقاق القمر كان آية له صلى الله عليه وسلم ودليلا على صدق نبوته لما سأله قومه ذلك " فإن القمر في ذاته آية أكبر، هذا الكوكب بحجمه، وضعه وشكله، طبيعته ومنازله، ودورته وآثاره في حياة الأرض، وقيامه هكذا في الفضاء بغير عم، هذه هي الآية الكبرى القائمة الدائمة حيال الأبيار وحيا القلوب، توقع إيقاعها، وتلقي ظلالها، وتقوم أمام الحس شاهدة على القدرة المبعدة التي يصعب إنكارها إلا عندأ أو مراء، وقد جاء القرآن ليقف بالقلب البشري في مواجهة الكون كله وما فيه من آيات الله القائمة الثابتة، ويلصه بهذا الكون وآيات الله فيه في
كل لحظة لا مرة عرضة في زمن محدود يشهدها جيل من الناس في مكان محدود (1).

وبهذا ناسب تسميته بهذا الاسم لموضوعات السورة كاملة من حيث أن القمر في حد ذاته هو آية وعلامة يستدل بها أولي النيه والآصار بأن كل ما ورد في السورة الكريما من مواضيع شاهدة على قدرة الله وإرادته النافذة في الكون فهي قاطعة بتفرده بالعبادة، ودالة على صدق ما جاء به رسوله وأنبياؤه على مختلف العصور.

ومن جهة أخرى أرى – والله أعلم – وجه تناسب آخر إذ سميت هذه السورة بهذا الاسم لتبقي في الأذهان صورة تذكيب المشركين لهذه المعجزة رغم قوتها، وتنقش في القلوب صور من رحمة الله بهذه الأمة، إذ أنه مع كل موقف ومع كل مشهد كانت تعرضه لنا السورة الكريما، كانت في الوقت ذاته تطالعنا بقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر)، كيف كان عذابي معشر المشركين بمن سبقكم ممن كتب رسل، وكيف كانت مصارعهم، وكيف كان ما طلبوه من أنبيائهم من معجزات سيب في فنانهم ورواههم ومع ذلك أمهم أنتم ولم تعالجوا بالعذاب مثلهم، فمع كل مصرع ومع كل واقعة كان يتردد في الأذهان مسمى السورة الكريما ليكون شاهدا على عظمة بنينا، وسعة رحمة ربينا.

ولعلي أخيرا أشير إلى نوع تناسب رأيته بعد التأمل في آيات السورة الكريما، وذلك أن الله قد لما أبان أحوال من كذب الرسل ممن سبق من الأمم بذكره أحوال من حق عليه العذاب في الدنيا والأسباب التي بها استحقوا ذلك، ولما أبان مصير كل من المجرمين والمتكفين في الآخرة بما لا يدع مجالا

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 6 ص 272-273.
للشك لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، سُمِى تعالى هذه السورة بسورة (القرآن) ليجعل منها ومِن توجيهاتها وتحقيقاتها في وضوحها ويسرها لمن تدبرها كالقمر ليلة البدار، لا يخفى ضوؤه ولا يغطي نوره.

إذ المتأمل في السورة الكريمة يجد ما ذكر فيها من قصص وعبر هي من الوضوح بما لا يدع مجالًا للشك في كل نفس أرادت الهدى واتبعت طريق الصواب، ولهذا كرر سبحانه في السورة الكريمة قوله تعالى: "كما سوتنهم عين مارونا ومزوجين من سائر العينين"، إيماء منه سبحانه بأن ما أخله من عذاب بمن عصاه حقيقة لا شك فيها ولا مراء، وأن هذا القرآن الذي أبدله نبيه وخاتم رسالته، سهل ميسر في تعلمه، وواضح وضوح القمر ليلة البدار، والله أعلم.

هذا ما يسره الله من أمور رأيت فيها مناسبات بين اسم السورة التوقيفي وموضوعاتها، أما بالنسبة للاسم الاحتجادي (اقترحت الساعة) فمناسبته مع موضوعات السورة في غاية الوضوح، وذلك أن ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر تأكيد ب " أن انشقاقه من علامات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ونبيته وزمانه من أشراف اقتراب الساعة")

ثم إن تسميتها بهذا الاسم إشارة إلى أنها أقتربت وأُوشكت على الوقوع والحال أنكم لازلكم مكذبين ومعاندين، فالقمر انشق إياكنا بأن القادر على شققه قادر على إحداث الساعة، كل هذا ومصارع الأمس تشذى في السورة ومصير كل من المجرمين والمتبقين يلقي ظلاله في آخر السورة ليؤكد مصيرهم عند قيام الساعة، فالساعة اقتربت، والآيات توالت، ومصائر

(1) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، الواحدي ، ج 4 ص 257.
الأمم السابقة رسمت، وطريق الهدى والضلال قد بين، فلا عذر لمنكر ولا حجة لكافر (١٠٩٢) ﴿١﴾.

رابعاً: مناسبة فاتحة السورة وخاتمتها لموضوعاتها:

بقليل من التأمل والتذبب في السورة الكريمّة ستنتج للذهن عظيمة المولى ﴿١﴾ وتناسق آيات كتابه، إذ سيلحظ قارئه روعة التناسق بين البدء والختام، في صورة معجزة للعقل والأذهان، الأمر الذي حقق لهذا الكتاب العظيم الإعجاز والبقاء على مر الأزمنة والعصور.

فقد افتتحت السورة الكريمّة بالحديث عن قرب الساعة وانشقاق القمر، وخدمت بذكر أحوال الصنفين من البشر المجرمين والمتقين، ولا يخفى على كل عاقل مدى ارتباط الموضوعين ببعضهما، إذ كان أحدهما بمثابة النتيجة للآخر، وذلك أن الحديث عن قرب الساعة مرتبط بوجود صنفين من البشر لا ثالث لهما في ذلك اليوم، كما أن الحديث أيضاً عن انشقاق القمر مرتبط بوجود صنفين، صنف مجرم مكذب وصنف متق مصدق.

وبقونا على التناسب الظاهر بين فاتحة السورة وخاتمتها، سيظهر للمتأمل بوضوح نوع التناسب بينهما وبين موضوعات السورة، إذ أن كل ما جاء في السورة من موضوعات كان يهدف بداية إلى التنبيه والحذر من ذلك اليوم ومن عقاب الله بضرب القصاص من واقع الأمم السابقة، مؤكداً على المصير المحتوم المنتظر لكل عاص ومكذب بالله وآياته والذين يقابلهم أيضا المصير المحتوم لتلك الطائفة المؤمنة المصدقة.

وأرى في ذلك نوع تناسب آخر أشار إليه الإمام الباقعي في تفسيره، إذ السورة افتتحت القصص الوارد فيها بقصة نوح ﴿١٠٩٢﴾، مع قومه وكيف أهلك الله المكذبين منهم وكيف كانت نجاة المصلحين منهم بسفينة أمر الله نوح ﴿١٠٩٣﴾.

٦٤

٢٨٣) سورة القمر، ١٧
المطلب الرابع: إعجاز القرآن في جملته ومعانيها

من ينظر في الجملة من القرآن الكريم سين geli له وجه الإعجاز من ناحيتين (1):

الأولى: اتساق الألفاظ وتناغمها في الجملة الواحدة.

الثانية: دلالة الجملة من القرآن على أوسع معنى بأقصر عبارة. وهذه الجوانب قد تكلم فيها العلماء كثيرا وسأُذكَر هنا إلى أمثلة لكل جانب حتى يتضح المقال.

فمن حيث اتساق ألفاظ الجملة القرآنية وتناغمها فالجملة القرآنية مؤلفة من كلمات وحروف ذات أصوات يستريح لتألفها السمع والصوت والنطق، وبالاجتماع حروفها وكلماتها يتكون نسق جميل يتطور على إيقاع خفي رائع، وهذه الروعة في الجملة القرآنية ما كانت تتتم لو نقصت كلمة أو حرفًا أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال.

(1) البقياعي نظم الدرر، ج 7 ص 365.
(2) من رواج القرآن، البوطي، ج 1 ص 144 بتصرف.
ولعلي هنا أشير إلى مثال وهو قوله تعالى: "قد فسختمو[(2) إلآ إلهيسن] أن تقولوا يعبدومن هذا عدوٌ للك _ وراءهه ينفخ كلا جنَّةٌ كما ينشئ_ إن كله جمع فيهما ولا شرٌ[(3) وآلهة]".

ولمن يقرأ هذه الآية له أن يتأمل الروعة والتنسيق الأخاذ بين كل كلمة وحرف فيها، من حيث تأليف الحروف الرخوة مع الشديدة، والمهمسة مع المجهورة، وكذلك التناسق الحاصل بين السكانات والممدوح وتعاطفها مع بعضها، كل هذه الروعة تعد من أبرز أوجه الإعجاز البديع في الجملة القرآنية.

أما من حيث دلالة الجملة على أوساع معنى بأقصر الألفاظ وأوجزها، فهو كثير في القرآن الكريم ومن أمثلته قوله: "الله تبارك وتعالى: إِنَّهُ يَأمُرُ بِالْإِحسَانِ وَيُنَذِّرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبُيُوتِ وَجَعَلَ النَّارَ ضُرُرًا لِلْكَافِرِينَ". فهذه الآية المباركة جمعت باقل الألفاظ أوساع المعاني فقد جمعت بين الأمر بكل خير والنهي عن كل شر، وهم كما قال ابن مسعود أجمع آية في القرآن للخير والشر.

وانظر لقوله تعالى "وَأَمَرَّ عَلَى الْجُنُّوُبِ وَوَتَأَسَّرَ عَلَى الْقَطْرِ الْأَعْرَاضِ[(1) وَأَمَرَّ عَلَى الْجُنُّوُبِ وَوَتَأَسَّرَ عَلَى الْقَطْرِ الْأَعْرَاضِ]". وتتأمل كل جملة في هذه الآية (ألْبَيِّ الْمَآءِ) (كَبَّسَتْ أَلْبَيِّ) (قَبَضَتْ أَلْبَيِّ) (وَفَتَّى الأَمْرِ) (وَأَمَرَّ عَلَى الْجُنُّوُبِ) تجد من المعاني المندرجة تحتها ما يعجز البشر.

(1) سورة البقرة: 87
(2) سورة البقرة: 111-114
(3) سورة النحل، آية 90
(4) المعجم الكبير للطبراني، ج 9 ص 132
(5) سورة هود: 44
عن التعبير عن مثل هذه الصورة بمثل هذه الجمل البسيطة، وانظر كيف أمر ونهي، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقص من الأدباء مالو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام وانحسرت الأيدي (1).

وقد روي أن ابن المقفع الأديب المشهور حاول أن يعارض القرآن فسمع صبيا يقرأ هذه الآية، فكسر الأقلام، ومزق الصحف، وقال هذا والله مالا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله" (2).

وأما أروع الرافعي حين قال:" لقد ظهر لي من نور الجملة القرآنية ما لم أكن أراه من قبل، حتى لقتها مكرس كوب يفصح عما يخفى [تحته] مما يكون خفياء فيستنمل، ودقيا فيستعمل(3).

ولعلما أشير هنا إلى أمر مهم في قضية إعجاز الجملة في القرآن وهو أن مجيء الجملة من القرآن على هذا المستوى الرفيع العالي من الدقة والإحكام، كان من أهم الأسباب في سرعة حفظ القرآن الكريم مقارنة بغيره.

من النصوص، مصداقا لقوله تعالى (علَّم شَيْئًا لَا تُقْرِبُونَ وَلَا تُدْخِلُونَ) (4).

(1) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج 3 ص 227.
(2) المعجزة القرآنية حفائق علمية قاطعة، أحمد أبو شوafe، ج 1 ص 11.
(3) تحت راهنة القرآن، الرافعي، ج 1 ص 272.
الخاتمة

بعد أن عشت لحظات مع الإعجاز البياني في هذا البحث المتواضع، لعلي أشير إلى النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة فأقول وله تعالى التوفيق:

1- الوصول إلى معنى دقيق للإعجاز البياني للقرآن الكريم يميّزه عن أنواع الإعجاز الأخرى على وجه العموم، وعن مفهوم الإعجاز القرآني على وجه الخصوص.

2- مصطلح الإعجاز إذا أطلق فغالباً ما ينصرف إلى مفهوم الإعجاز البياني للقرآن، إذ أن الإعجاز البياني هو الذي وقع به التحدي للعرب عند نزول القرآن.

3- التوصل إلى التحديد الدقيق لنشأة علم الإعجاز البياني، وسبب ظهوره وكيف تطور عبر العصور.

4- وقف هذا البحث على الأهمية القصوى لدراسة هذا العلم، إذ هو من العلوم المرتبطة مباشرة بكتاب الله، وبه ينال المسلم الخبرة الواردة في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (١).

5- أكد البحث على ارتباط هذا النوع من الإعجاز بالقرآن الكريم كاملاً، إذ لا ينفك عن كلمة أو حرف منه، بل هو أمر ملاحظ فيه من أوله إلى آخره.

6- أشار البحث إلى تعدد أوجه الإعجاز البياني، وحديث العلماء عن إعجازه البياني قديما وحديثا، فمنهم من جعلها في نظمه، أو تأليفه، أو بلاغته، و...

(١) سبق تخرجه في المقدمة.
ولكن في النهاية نصل إلى أن القرآن معجز بكل تلك الأوجه بلا استثناء لاشتماله على قواعد الفصاحبة وأساليب البلاغة التي حيرت الكون كله وأعجزتهم عن الإتيان بتمثله.

وختاماً، أحمد الله عليه تيسيره وعونه وتوفيقه، وأسأله الإخلاص في القول والعمل، وهذا جهد مقل فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ومما كان من خطاً فمن الله والشيطان والله ورسوله بريئان منه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
المصادر والمرجع

أولاً: القرآن الكريم.
ثانياً: أهم المصادر والمراجع

- ابن الزبير الثقافي: أحمد بن إبراهيم البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية 1411 هـ 1990 م.
- ابن حنبل: أحمد بن محمد المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 211 هـ.
- ابن سيده: علي بن اسماعيل المحكيم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 2211 هـ.
- ابن عاشور: محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
- ابن فارس: أحمد فارس القزويني، معجم مقياس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الفكر 1399 هـ 1979 م.
- أبو حيان: محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت 1400 هـ.
- أبو زهراة: محمد أحمد المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي.
- أبو شوفه: أحمد بن عمر، المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة، دار الكتب الوطنية 2103 م.
- الأزهرى: محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون.
البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق محمد زهير الناصر، الطبعة الأولى 1422 هـ.

الباقلاوي: محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، الطبعة الخامسة، 1997 م.

البديوي: أحمد أحمد عبد الله، منبلاغة القرآن، نهضة مصر القاهرة، 2002 م.

البغا: مصطفى ديب، الواضح في علوم القرآن، دار الكلام الطيب دمشق، الطبعة الثانية 1418 هـ - 1998 م.

الباقعي: برहان الدين أبي الحسن، نظام المدرر في تناسبب الآيات والسور، خرجم آياته وأحاديثه عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الرابعة 1432 هـ.

البوطي: محمد سعيد، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ.

البيهقي: أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة الأولى، 1405 هـ.

الجرياني: عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الاعجاز.

الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م.

الحاكم: محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1411 هـ - 1990 م.
الخطابي: حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ود محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، 1976 م.

الخطيب: عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي القاهرة.

الدمشقي البلاغة العربية.

الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى.

الراغب: عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى 22 1422 هـ.

الرافعي: مصطفى صادق، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة، 1945 1425 هـ.

الرافعي، مصطفى صادق، تحت رأية القرآن، المكتبة المصرية، صيدا بيروت، الطبعة الأولى 1423 1943 هـ.

الرماني: علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق محمد خلف الله ود محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، 1976 م.

الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1428 1948 هـ.

2007 م.
الزحليلي: وهبة بن مصطفى، التفسير المنبر في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ.

الزركشي: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان، راجعه وضبطه وعلق عليه محمد علي قطب، ويوسف الشيخ محمد، المكتبة المصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ 1996 م.

السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1431 هـ.

الشراوي: محمد مصطفى، تفسير الشعرآوي، مطبوعي أخبار اليوم، 1991 م.

الطبراني: سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة.

العمري: أحمد جمال، الباقلاطي ومفهومه للإعجاز القرآني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1396 هـ.

الفرهادي: الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهدل.

النوروز أبادي: ماج الدين محمد، يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، 1429 هـ، 2008 م.
الفيروز أبادي: مجد الدين محمد يعقوب، بصائر ذوي التمييز
في نظم الكتب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية بيروت.

الكافوي: أبو بـن موسى، الكليات، تحقيق عدنان درويش
ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
المطغني: عبد العظيم إبراهيم، خصائص التعبير القرآني
وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه، مكتبة وهة، الطبعة الأولى 1341 هـ.

المطيري: عبد المحسن بن زين، دعاوى الطاعنين في
الإسلام، رسالة دكتوراه، دار البشائر الإسلامية بيروت،
الطبعة الأولى 1427 هـ، 2006 م.

المطيري: زين الدين محمد الكبير، التوقف على مهام التعرف،
عالم الكتب القاهرة، الطبعة الأولى، 1410 هـ.

الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير
القرآن المجيد، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد
معوض و أحمد محمد صيرة و أحمد عبد الفتاح الجمل و عبد
الرحمن عويس، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1415 هـ، 1994 م.

دراز: محمد عبد الله، النبي العظيم، دار القلم للنشر والتوزيع،
1426 هـ.

عبد الفتاح سلامة: أضواء على القرآن بلغته وإعجازه،
الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية عشر
1400 هـ.
• مجموعة من العلماء والأساتذة والمتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 323 هـ.

• مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة 1412 هـ.

 مواقع النت:
• موقع سعادة الدكتورة هيفاء عثمان الفدا، أستاذ البلاغة والنقد، بجامعة أم القرى.
amasadir walmarjie

awlaan: alquran alkarim.

thanyaan: 'ahamu almasadir walmarajie

•aibn alzubayr althaqafi: 'ahmad bin 'iibrahim, alburhan fi tanasub suar alqurani, tahqiq muhamad shaebani, wizarat al'awqaf walshuwuwn al'iislamiat almaghrib 1410 hi 1990 ma.

•aibn hanbala: 'ahmad bin muhamad, almusandi, tahqiq shueayb al'arnawuwtta, muasasat alrisalati, altabeat al'uwlaa 1421 hu.

•aibn sayidha: ealiin bn asmaeil: almahkam alhafar al'aazami, tahqiq eabd alhamid hindawiin, dar al kutub aleilmiati, bayrut, altabeat al'uwlaa 1421 hi.

•aibn eashur: muhamad altaahir, altahrir waltanwira, muasasat altaarikh bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa.

•aibn fars: 'ahmad faris alqazwini, muejam maqayis allughati, tahqiq eabd alsalam muhamad harun, alnaashir dar alfikr 1399 hi 1979 mi.

' •abu hayan: muhamad bin yusif, albahr almuhayti, tahqiq sidqi muhamad jamil, dar alfikr bayrut 1420 hi.

' •abu zahrata, muhamad 'ahmadu, almuejizat alkubraa, dar alfikr alearabii.

' •abu shufhu: 'ahmad bin eumra, almuejizat alquraniat eilmiat qatieatun, dar al kutub alwataniati, 2003 mu.

•al'azhari: muhamad bin 'ahmad , tahdhib allughat , tahqiq eabd alsalam harun.

•albukhari: muhamad bin 'iismaeil, aljamie alsahihi, tahqiq muhamad zuhayr alnaasir, altabeat al'uwlaa 1422 hi.

•albaqalani: muhamad bn altayib , 'iiejaz alquran , tahqiq alsayid 'ahmad saqr , dar almaearif misr , altabeat alkhamisat , 1997 ma.

•albadwi: 'ahmad 'ahmad eabd allah, min balaghat alqurani, nahdat misr alqahirata, 2005 mi.
• ابوعظى: مصطفى ديب، أLEYن في علوم القرآن، دار الكلمة التأويلية 1418 هـ 1998 م.
• إبراهيم: بروح الله ابن حسن الزمر في تناول الأيات والصفح، تغليف الأيات والحديث، دار الكتاب العلمي، القاهرة 1432 هـ.
• الأوتي: محمد سعيد، من روايات القرآن، مؤسسة الرعية، بيروت، 1420 هـ.
• الإفرازي: أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، دار الكتاب العلمي، بيروت، القاهرة 1405 هـ.
• الإجراهي: عبد الله بن إبراهيم، دلائل الأدبيات، تحقيق محمود محمد شكري، طبعة البدن في مصر.
• الطرشان: ابراهيم بن محمد، بالغاء القرآن، تحقيق أحمد عبد الغفور عطاء، دار العلم الراشدة، بيروت، القاهرة 1407 هـ 1987 م.
• الحكيمي: محمد بن عبد الله، المصداق النبوي، تحقيق مصطفى عبد الله زادة، دار المعارف، المسيرة، القاهرة 1411 هـ 1990 م.
• الأحذب: عبد السلام أحمد، فضائل الوصى في القرآن، طبعة النشر والنشر، حلب، القاهرة 1422 هـ.

• إبراهيم بن عبد الله بن عمر، مفتاح الغيب، تحقيق النسيم الهادف، دار النسيم في بيروت، القاهرة 1418 هـ.
• الإراجحي: عبد السلام أحمد، وظائف الوصية في القرآن، تفسير الريسة وال الصحابة، حلب، القاهرة 1422 هـ.

• السالم: أحمد بن محمد بن حميد، تفسير القرآن، مؤسسة الفكر الإسلامي في القاهرة.
• الدوسي: أحمد بن محمد بن حميد، تفسير القرآن، مؤسسة الفكر الإسلامي في القاهرة.
• الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر، مفتاح الدعاء، تحقيق النسيم الهادف، دار النسيم في بيروت، القاهرة 1418 هـ.
• الراجحي: عبد السلام أحمد، وظائف الوصية في القرآن، تفسير الريسة وال صحابة، حلب، القاهرة 1422 هـ.

• السالم: أحمد بن محمد بن حميد، تفسير القرآن، مؤسسة الفكر الإسلامي في القاهرة.
• الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر، مفتاح الدعاء، تحقيق النسيم الهادف، دار النسيم في بيروت، القاهرة 1418 هـ.
• الراجحي: عبد السلام أحمد، وظائف الوصية في القرآن، تفسير الريسة وال صحابة، حلب، القاهرة 1422 هـ.
• alraafiei: mustafaa sadiq, aejaz alquran walbalaghat alnabawiatus, dar alkutaab alearabii, bayrut, altabeat althaaminati, 1425 ha.
• alraafiei, mustafaa sadiq, taht rayat alqurani, almaktatab aleasriati, sayda bayrut, altabeat al'uwlaa 1423 h.
• alramani: eali eisaa, alnakt fi 'iiejaz alquran alkarimi, tahqiq muhamad khalf allah w d muhamad zaghul salam, dar almaearifi, masira, altabeat althaalithata, 1976 ma.
• alzubaydi: muhamad murtadaa alhusayni, taj alearus min jawahir alqamusa, dar alkutub aleilmiat bayrut, altabeat al'uwlaa 1428 ha 2007 mi.
• alzuhayli: wahbat bin mustafaa, altafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walmahaji, dar alfikr almueasir dimashqa, altabeat althaaniat 1418 hi.
• alzarqani: muhamad eabd aleazim, rajaeh wadabtah aleurf waealaq ealayh muhamad munahid eali qutb wayusif alshaykh muhamad, almaktatab aleasriat al'uwlaa 1417 ha 1996 mi.
• alzarkashi: badr aldiyn 'abu eabd allah, alburhan fi eulum alqurani, 'abi alfadl aldimyati, dar alhadith alqahirat 1427 ha 2006 mi.
• alsuyuti: al'iitqan fi eulum alqurani, tahqiq fawaz 'ahmad zamrli, dar alkitaab alearabii bayrut 1431 hu.
• alshaerawi: muhamad mutawali, tafsir alshaerawi, mutabie 'akhbar alyawmi, 1997 mi.
• altabrani: sulayman bin 'ahmad , almuejam alkabir , tahqiq hamdi eabd almajid alsalafi, maktatab aibn taymiat alqahirati.
• aleumari: 'ahmad jamal , albaqlani wamafhumuh lil'iiejaz alquranii , aljamieat al'iislamiat , almadinat almunawarat , 1396 hi.
• alfarahidi: alkhaliel bin 'ahmadu, aleayni, tahqiq mahdii almakhzumii wa'iibrahim alsaamaraayiy, dar maktabat alhilal.
  • alfayruz 'abadi: majd aldiyn muhamad yaequba, alqamus almuhayti, tahqiq 'anas muhamad alshaami wazakariaa jabir 'ahmad, 1429 ha 2008 mi.
  • alfayruz 'abadi: majd aldiyn muhamad yaequba, basayir altamyiz fi litayif alkaaab aleaziza, tahqiq muhamad eali alnajar, maktabat aleilmist bayrut.
  • alkaawfi: 'ayuwb bin musaa, alkilyati, tahqiq eadnan darwish wamuhmad almasri, muasasat alrisalati, bayrut.
• almawfeeni: eabd aleazim 'iibrahim, khasayis altaebir alquranii wasimatu albalaghiati, risalat dukturah, maktabat wabihat, altabeet al'uwlaa 1413 hi.
• almutayri: eabd almuhsin bin zayn, daeawaa altaeenet fi al'iislami, risalat dukturah, dar albashayir al'iislimiat bayrut, altabeet al'uwlaa 1427 ha 2006 mi.
• almawakeeni: zayn aldiyn muhamad, altawqif ealaa muhimaa mata alaeerifi, ealam alkatub alqaharat altabeet al'uwlaa, 1410 hi.
• alwaawidi: 'abu alhasan eali bin 'ahmad, alwasit fi tafsir alquran almajid, tahqiq ealdil 'ahmad eabd almawjud w eali muhamad mueawad w 'ahmad muhamad sirat w 'ahmad eabd alghani aljamal w eabd alrahman euays, dar alkatub aleilmiat bayrut al'uwlaa 1415 ha 1994 mi.
• dirazi: muhamad eabdallalah, alnaba aleazimi, dar alqalam lilnashr waltawzie, 1426 hi.
• eabd alfataah salamata: 'adwa' ealaa alquran balaghatuh wa'iiejazihu, aljamieat al'iislimiatu, almadinat almunawaratii, altabeet althaaniiat eashar 1400 ha.
  • majmueat min aleulama' wal'asatidhat walmutakhasisina, almawsueat alquraaniat
almutakhasisati, almajlis al'aelaa lilshuwuw al'iislamiati, masr, 1423 hu.

• mustafaa muslami: mabahith fi aejaz alqurani, dar alqalami, dimashqa, altabeat althaalithat 1426 hi.